الجزء الأول

سبق طبع هذا الجزء فى حياة الشاعر
رحمه الله وهو مشروح بقلمه

الوَرْد

خده أحسن أم ثغره ... بل كلا الحسنين فتانُ
كل جزء من بدائعه ... لفنون الحسن بستان
لى كئوسٌ من مراشفه ... ومن الأطيار ندمان[1]
كلما قبّلت وجنته ... خلت أن الورد خجلان
ظمئى ترويه قبلتهُ ... كيف ريّى وهو ظمآن
ربّ طلٍّ بات يكلؤه ... فكأن الطل غيران[2]
وكأن الورد إذ سطعت ... منه ريح الطيب نشوان
أنا أخشى أن أراعيه ... ما لهذا الورد جثمان[3]
كف لا تذوى غلالته ... وهى للأعين ميدان[4]

---

(١) المراشف الثغور .

(٢) الطل الندى أو القطر الخفيف . قال ابن الرومى « وترجس بات سارى الطل يضربه » – يكلؤه يحرسه .

(٣) راعيته أى لاحظته والجثمان الجسم – أى أن الورد لفرط رقته ليس له جسم يحتمل أن تجول فيه العيون .

(٤) تذوى أى تذبل وغلائل الورد أوراقه .

الماضي

مسافةُ الشمس دون أقربه ... وإن دعونا أعارنا أذنه

القلب قبرٌ وأنتَ ساكنه ... لا يبرح القبرَ ميتٌ سكنه (١)

ما مرَّ يومٌ بما يصرّفه ... إلا جعلتاكِ فيه ممتحنه (٢)

أو راقنا ثوبه ونضرته ... إلا رأينا فى ثوبه كفنه

آليتُ لا يستخفنّى أملٌ ... فى الغد أو تستغرّنى حسنه (٣)

الدهر لولا الآمال مشتبهٌ ... والمرء فى نفسه يرى زمنه

---

(١) الخطاب موجه للماضى .

(٢) كل شىء فى هذا الوجود نسبى وإنما يحمد أحدنا يومه أو يذمه بالقياس إلى أيامه الذواهب .

(٣) آليت أقسمت . قال الشاعر

قليل الألايا حافظ ليمينه ... فان سبقت منه الألية برت

واستخفه أى حركه واستفزه

الدّار المهجُورة

لم يدع منها البلى الاّ كما تترك التسعون من غضّ الشباب

* * *

وهى فى سكونها كأنمـــا
فارقتها روحها إلاذّما [1]
حكم الدهرُ بها فاحتكما
وكساها الهجرُ ثوباً مظلماً ما أضل الطرف فى هذا الاهاب [2]

* * *

ما ترى العين بها إلاّ رماما [3]
باليات تملأ النفس ظلاما
وسعتها الريح دفعا ولطاما [4]
لغـــط اليمّ إذا اليمّ طمـــا والتقت فيه هضابٌ بهضاب [5]

* * *

---

(١) الذماء بالفتح الرمق وبقية الروح .
(٢) الاهاب الجلد .
(٣) الرمة بالكسر العظام البالية تجمع على رمم ورمام .
(٤) تملأ النفس ظلاماً لما تثيره فيها من الخواطر المظلمة .
(٥) اللغط كلام أو صوت فيه جلبة واختلاط — اليم البحر — وطما الماء علا وارتفع — والهضاب جمع هضبة وهى الجبل المنبسط على وجه الأرض أو الأكمة والأمواج تشبه بالجبال .

ليس يلفى عندها الصوتُ قرارا [1]
كلما أرسلته ملّ الجوارا
واستردّ المرءُ منها ما أعارا
تثب الأصداء عنها مثلما طارت العقبان طيراً عن عقاب [2]

* * *

إيه يامهد مسرّات الصبا
عجباً أصبحت قبراً عجباً
حاملا عن هاجريك الوصبا [3]
كنت للّهو فقد صرت وما أنت إلا طيف أيام عذاب [4]

* * *

أوصدوا الأبواب بالله ولا
تدعوا العين ترى فعل البلى
وامنعوا دار الهوى أن تبذلا
إنّ للدار علينا ذمماً وقبيحٌ خونها بعد الخراب

---

(١) يلفى أى يجد والمعنى أنك إذا أرسلت الصوت فيها رجع إليك صداه فكأن الصوت يمل جوار هذه الدار ولا يقر له فيها قرار .

(٢) الأصداء جمع صدى وهو رجع الصوت والعقاب من جوارح الطير والعقبة المكان المرتفع فى جبل أو نحوه — وطير العقبان عن العقاب وذهابها فى نواحى الفضاء يشبه وثوب الأصداء عن المكان وانتشارها فى الجو — وإنما مثل لذلك بالعقبان دون غيرها من صغار الطير لجلالة الأصداء وعظم وقعها فى النفس .

(٣) الوصب الوجع .

(٤) الطيف الخيال والمعنى إن هذه الدار صارت وكأنها خيال الأيام العذاب السوالف .

الجمال إذا هوى

ياليتنى لو يصح لى أملُ ... أعمى له من كفافه شغلُ [1]

أبيتُ لامرهقاً ولا قلق الأ ... حشاء مما تحرّك الغلل

ولا فؤادى كالوكر مضّطـريا ... تجنى عليه بلحظها المقل [2]

كم نعم قد أصارها نقماً ... على الليالى الخطوب والعلل

بذلتُ ودّى لغير صائنـه ... أين رمانى العثـار والزلل

يا حسرةً للجمال يسلبـه ... روعتَه مصرعٌ له جلل [3]

بيناه كالزهـر مونقٌ أرج ... إذاه كالشوك حظه العطل [4]

بيناه كالشمس فى جلالتهـا ... تضيء ما حولها وتشتعـل

إذا بها قد خبت لها شعلٌ ... أخلق من نور نارها الطفل [5]

وانما الحسن إن هوى جدثٌ ... عليه زهر من الندى خضل [6]

إن راق عينيك روضة أنف ... منه لقد راع قلبك الثكل [7]

---

(١) الكفاف العمى .

(٢) القلب فى حال اضطرابه وخفوقه يشبه وكر الطائر إذا صفقته الرياح . والمقل جمع مقلة وهى من العين شحمتها التى تجمع بياضها وسوادها .

(٣) الجلل هنا الكبير العظيم والمراد بمصرعه هذا سقوطه وتدليه إلى مواقعة الأثم .

(٤) المونق الرائع المعجب ، والأرج العطر والعطل التجرد من كل حلية .

(٥) خبت النار خمد لهيبها — والشعلة من النار معروفة — وخلق الثوب بالضم إذا بلى وأخلقته أبليته والطفل قرب العشية والمعنى أن الليل إذا زحف خبت نار الشمس وانطفأ نورها وكذلك الأثم يطفىء نور الحسن ويلبسه من ظلمة الرذيلة والأثم .

(٦) الجدث القبر — فكأن لابس الحسن إن هوى إلى حيث يسوء موقع القول فيه قبر عليه زهرة — والخضل الذى به من الندى بلل .

(٧) الأنف الطيبة الريح يقال روضة ومنهل وكأس أنف . قال الحطيئة : (ويأكل جارهم أنف القصاع) وقال طريح الثقفى :

أيـــام سلمى غـريـرة أنـــف ... كـأنهـا خـــوط بانـــة رود

الاخوان

سلِ الخلصاء ما صنعوا بعهدى ... أضاعوه وكم هزلوا بجدّى (١)
ركبتُ إليهم ظهرَ الأمانى ... على ثقة فعدت أذمّ وخدى (٢)
وصلت بحبلهم حبلى فلما ... نأوا عنّى قطعت حبال ودى
وكانوا حليّى فعطلت منهما ... وغمدى فالحسام بغير غمد
أذم العيش بعدهمُ ومن لى ... بمن يدرى أذمّو العيش بعدى
وما راجعت صبرى غير أنى ... اكتّم لوعتى فى الشوق جهدى
ولو أطلقت شوقى بلّ نحرى ... وروّى وبلُ غاديتيه خدى (٣)
جفاءٌ فى مطاويه حفاظٌ ... كحسن القدّ فى أسمال برد (٤)
وكم من نزوةٍ للقلب عندى ... وهجعة سلوةٍ وقيام وجد (٥)
على أنّى وإن أطرب لقربٍ ... ليعجبنى عن المخفار بعدى (٦)

---

(١) الخلصاء الاخوان .
(٢) الوخد السير السريع . قال الشريف :
سير الدموع على آثارها عنق ... وسيرها الوخد والتبغيل والرمل
(٣) النحر موضع القلادة من الصدر — والوبل المطر الشديد — والغادية السحابة والمراد بالغاديتين العينان .
(٤) الحفاظ صون العهد والوفاء له — والبرد الثوب — والأسمال الثياب الرثة الخلقة .
(٥) النزوة الثورة والوثوب — سلا عن الشيء صبر والسلوة اسم منه والقيام ضد الهجوع .
(٦) المخفار هو الذى يخفر العهد أى يخونه .

إذا ما ضنّ بالتسليم قومٌ فإن الجـــود بالتوديع ردى
لكلّ فى احتمال النـــاس طبعٌ ولست على تملّقهم بجلد

وغرّ ماضـــغ بالغيب لحمى خلاه الذمُّ إذ جدنا بحمد[1]
صفوت له على العلات دهراً فرنّق بالسفاهة ماء وردى[2]
وكنت إذا هتفت به أتتنى قوارضُ شر ما يحبو ويُهدى[3]
وإنى حين تغشـــانى أذاةٌ ليشفع للمسىّ الودُّ عندى[4]
فإن يسبقْ إلى كفر وظلم فقـــد سبقت يداى له برفد[5]
ظلمتك أن تخـــذتك لى وليّاً ولو أنصفتُ كان سواك قصدى
غروراً كان ما وعدت ظنونى وأشقى النـــاس مغرور بوعد
أيغضبه السكوت وقد سكتنا ولو قلنـــا لما أرضاه نقـــدى
وجهلٌ بيّن فى غير شـــاكٍ تعرّضـــه لشـــاك مستعد[6]
مضى زمن التسامح والتغاضى وذا زمن الترامى والتحـــدّى
لئن أعلى خسيستهم سكوتى فسوف يحطها بدئى وعودى[7]
وإن أثمـــر لهم ذماً كثـــيراً فهم غرسوا بذور الذم عنـــدى

---

(١) معنى الشطر الثانى انا مدحناه فلم ينل منه أحد ولم يذمه أحد .
(٢) على العلات بكسر العين أى على كل حال ورنق جعله رنقا والرنق ضد الصافى والورد الماء ترده .
(٣) هتف به أى أثنى عليه وذكره بخير والقوارص اللواذع .
(٤) غشيه الأذى أى لحقه وأصابه والاذاة الاذية .
(٥) الرفد العطاء .
(٦) الشاكى لابس السلاح المستعد للكفاح .
(٧) أعلى خسيسته أى رفع منه .

فتىً في سياق الموت

نعد أنفاسه ونحسبها ... والليل فيه الظلام يلتطم[1]

إذا خروج الحياة أجهده ... تساقطت عن جبينه الدّيم[2]

صدرٌ كصدر الخضمّ مضطرب ... تحافل الموت فيه تزدحم[3]

إن قام ملنا له بمسمعنا ... أو نام خفت بوطئنا القدم

يرتاع من طول نومه الأمل ... ويشتكيه الرخاء والسأم[4]

كأنما الخوف من تردّده ... خيلٌ لها من رجائنا لجم[5]

خلناه قد مات وهو في سنة ... ونائم الجفن وهو مختزم[6]

قد قلّصت ثغرَه منيتُه ... كأنه للحمام يبتسم[7]

---

(١) يلتطم أي يلطم بعضه بعضاً .

(٢) الديم جمع ديمة بالكسر المطر الدائم والمراد هنا العرق الذي يرفض عن جبين المحتضر إذا أخذه النزع وطال عليه علز الموت وكربه .

(٣) الخضم أي البحر الخضم والجحفل الجيش العظيم .

(٤) يرتاع أي يخاف ويفزع أي إنه إذا طال نومه فزعت الآمال لئلا يكون النوم طريقاً إلى الموت .

(٥) أي أن الرجاء يحبس من الخوف ويكف منه كما يكبح اللجام الجواد إذا هم أن يجمح براكبه .

(٦) مختزم أي ميت يقال اختزمته المنية أي اقتطعته وانتزعته من بين ذويه .

(٧) قلصت ثغره أي جعلته متقلصاً أي منقبضاً .

المُناجاة

إن وجهاً رأيته ليلة السبـ ـت رمانى بحبّـه وتولى
عجبٌ كيف يرتضى البعدَ عنا من عبدنا فى حسنه الله جلا[1]
هل حباك الإلهُ بالحسن إلاّ لنرىَ فيك آيهُ تتجلى[2]
أنت أفسدتنى وعلمتنى الحب فهـلا أصلحتَ منىَ هلا
نظرةٌ منك لو رحمت تعيد الرـ ـوح فينا كالروض جيد وطلا[3]
مالنا غير ذلك الصد مأوى أو معاذ وجلّ ذاك وقلا[4]
لم أكن أحسب الزمان يرينى موضعاً لست فيه جنبىَ حلاّ
أجدرُ الناس بانعطاف وأولى أنت ان تُتبع القطيعةَ وصلا[5]
بعدَ العهد غير ذكرى لبالٍ قد تقضّت وما شفت لى غلاّ
وقفةُ العيش بغيتى غير أنى أجـد الدهرَ ما يثقّل رجلا

---

(١) الجمال مظهر من مظاهر القدرة والابداع فى الخلق والاحساس بالجمال آية من آيات الاحساس بهذه القدرة .

(٢) الآى جمع آية — تتجلى أى تظهر .

(٣) جادت السماء أمطرت . قال الشاعر :

« جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل بالأندلس »

وطلت الأرض نزل بها الطل ، قال الشاعر :

فدونكها كاضاة الغدير أو السيف سل أو الروض طلا

وكما أن الأرض تحيا بالمطر كذلك النفوس تحيا بالنظر .

(٤) المأوى المكان الذى تأوى إليه والمعاذ ما تعوذ به .

(٥) القطيعة ضد الوصل .

ليت شعرى ما حجة الزمن الجا ... ئر أم كيف عذره حين زلا
ثقلتْ وطأة البعـاد على كا ... هل صبرى وآذنت أن تظلا[1]
أتأنّاك كى ترقّ وما تر ... داد إلاّ على المؤمل بخلا[2]
كان خبراً من السهاد رقادى ... فى حمى ظلّك الوريف وأحلى[3]
غير أنى فى الحب أقنع بالذكـ ... ـر إذا ما الحبيب لم يك سهلا
إن لى مهجةً يصدّعها الشو ... قُ وما إن أخال إلا مبلاّ[4]
لم تلمنى أنى هويتك لكن ... لمتَ أنى رعيتُ عهداً وإلاّ[5]
لستَ تأبى علىّ حبّيك لكن ... أنتَ تأبى الحفاظَ ظلما ودلاّ[6]
بأبى أنت مغضباً ولعمرى ... ما أقلّ الفداء منى وأغلى
لكم الدلُّ والتجنّى علينـا ... وعلينا الحفاظُ أحسنت أم لا

ليت شعرى متى تشق بنا النيل(م) ... جوارٍ ويا عسى ولعلاّ[7]
محقباً خمرةً لنطرب كالبحر(م) ... وتغدو لصحبة البحر أهلا[8]
أى شئ ألهاك عن مركب النيل(م) ... وقد كنتَ لاتنى عنه قبلا[9]

---

(١) الكاهل مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق .
(٢) أتأناك أى أمهلك وانتظرك .
(٣) الوريف الممتد الظل .
(٤) يصدع أى يقطع المبل المستفيق من المرض .
(٥) الإل بكسر الهمزة القرابة ومنه قوله تعالى لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة والمراد به هنا الأصر والعهد .
(٦) حبيك أى حبى إياك والحفاظ هو حفظ العهد وصونه وقد تقدم .
(٧) الجوارى هى السفن قال تعالى : « وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام » .
(٨) حقب الشىء واحتقبه واستحقبه حمله .
(٩) ونى عن الشىء يني أبطأ وضعف وفتر قال ابن مقبل :
مرتـه الصبا بالغور غـور تهامـة ... فلما ونت عنـه بشعفين أمطرا

ما برحنا نرجو قدومك حتى ... قد ملانا خلف الرجاء وملا

إن لى مجلساً على النيل فيّا ... حاً فالا وافيتنى فيه إلا(١)

متعة العين من ملاحة مرأى ... ومنى النفس من صباحة مجلى

حيث لا نرهب الزمان ولا نر ... قب سحّاً من الملام ووبلا(٢)

وهى الراحُ لا نشعشع منها ... وعلىّ الاكثار نهلا وعلا(٣)

نقطع الليل فى احتساء شرابٍ ... ليس أنفى للهمّ منه واجلى(٤)

بين أقداحنا حديثٌ .هو السحر (م) يناجيك فيه قلبٌ تملّى

ليس تستعذب المدامة إلاّ ... بنديمٍ أرقّ منها وأحلى

صاحبٌ مؤنسٌ وكأسٌ دهاق ... ذاك حسبى لو يجمل الدهر فعلا(٥)

هل أرى نجحَ ما وعدنَ ظنونى ... أم ترى باعها يعود أشلا(٦)

لستُ بالملحِف الملحّ ولا با لطا (م) مع العين إنْ وهبتَ الاقلا(٧)

إن تجودوا سحبتُ ذيلاً رَفلاً ... أو تضنوا فلستُ أعدم خلا(٨)

---

(١) الفياح الواسع – يقال رجل فياح أى فياض بالعطاء الواسع – وقال بعضهم :

شددنا شدة لا عيب فيها ... وقلنا بالضحى فيحى فياح

أى اتسعى يا غارة وانتشرى .

(٢) سح الماء سال والوبل المطر الكثير .

(٣) شعشع الخمر مزجها بالماء – النهلة الشربة الأولى والعل الشرب الثانى ، قال الشاعر :

فلعلنا نمتاح إن لم نغترف ... ماء المنى ونعل إن لم ننهل

(٤) احتسى الخمر شربها شيئاً بعد شىء .

(٥) الكأس الدهاق هى الروية الملأى .

(٦) النجح بضم النون النجاح – شلت اليد إذا فسدت عروقها وبطلت حركتها .

(٧) ألحّ السحاب دام مطره ومنه ألح الرجل على الشىء إذا أقبل عليه مواظباً وألحف السائل أى ألح وأكثر من الطلب .

(٨) الرفل الطويل .

أحلام الموتى

أرسل الينا صديقنا الشاعر الجليل عباس افندى محمود العقاد قصيدة بهذا العنوان يقول فى مطلعها :

ستغرب شمسُ هذا العمر يوماً ويغمض ناظرى ليلُ الحمام
فهل يسرى إلى قبرى خيالٌ من الدنيا وأنبـــاء الأنام
ويمسى طيفُ من أهوى سميرى ويؤنس وحشتى ترجيع هام

فأجبناه بهذه الأبيات :

لهان علىّ أن ألقى حمامى ... وأطوى تحت طيّات الرغام[1]
إذا ما الليلُ نام رأيتُ قلبى ... كلوءاً مطعماً مرّ الفطام[2]
وما طاف الكرى بالعين إلاّ ... ليفتحها على الكرب العظام
وفى ظلم القبور لنا مجيرٌ ... يجلّى وحشة العيش الجهام[3]
أجنّونى إذا مامتُّ رمساً ... ينادمنى به خضل الغمام[4]
ترقرقُ عنده غدرانُ ماءٍ ... على ضفّاتها أثرُ الهوامى[5]
تغنينى الحمائمُ فى ذراهـــا ... وقد هبّ النسيمُ مع الظلام
تذكرنى ليالينـــا وكانت ... مسلسلة البشاشة فى نظـام
وما إن أرتجى شيئاً ولكن ... هى الأحلامُ عونُ ذوى السقام[6]
إذا ما الموتُ رنّق فى جفونى ... وبات بكفه يوماً زمامى[7]
فما يغنى خيالٌ من حبيبٍ ... يزورك بالتحيـة والسـلام
وكيف يصدّ عنك وأنت حىّ ... ويمسى واصلاً لك فى الرجام[8]

---

(١) الرغام التراب ومنه قولهم ألصقه بالرغام أى أذله وأهانه .

(٢) نام الليل أى سكنت فيه الحركات وهمدت الأصوات وهو من الاسناد المجازى والكلوء الذى لا يغلبه النوم .

(٣) الوحشة ضد الأنس ويجلى أى يذهب والجهام السحاب لا ماء فيه أو قد هراق ماءه ومن قولهم غراره كهام (أى كليل) ومدراره جهام .

(٤) رمس القبر إذا سوى بالأرض وذلك القبر رمس تسمية بالمصدر .

(٥) أثر الهوامى المراد به النبت وترقرق أى تترقرق .

(٦) المعنى انى لا أنتظر أن يعجبنى تحدر الماء ولا أن يطربنى سجع الحمام وهبوب النسيم إذا ما مت وأضمرتنى الأرض ولكن ذوى السقام يستعينون بالأحلام على احتمال العيش ويتعللون بها .

(٧) رنق الموت بتشديد النون فى العين إذا خالطها .

(٨) الرجام القبور قال كعب بن زهير :

أنا ابن الذى لم يخزنى فى حيـــاته ... ولم أخـزه حتى تغيب فى الرجم

أمانى وذكر

يا حبّذا أمسى من ... مفارقٍ وإن قصرْ
ما فى الخوالى غيره ... يومٌ به العينُ تقرْ (١)
نسيمُه إذا جرى ... يغضّ من لفح الذكر (٢)
قضيتُ فيه وطراً ... من مسمعٍ ومن نظر
والأفقُ داجٍ مدجنٌ ... يكاد يهمى ويدر (٣)
والشمس تزوى وجهها ... أمن حياءٍ وخفر ؟ (٤)
كم ليلةٍ صيفيّةٍ ... أنساكها يومٌ خصر (٥)
وحبّذا القهوةُ لا ... تأخذ منّا وتذر (٦)
ما خيرُ راحٍ تقرُ السـ ... ـمعَ وتمضى بالبصر (٧)

---

(١) أى ليس فى ما مضى من الأيام يوم تقربه العين غيره .
(٢) وهو لفرط رقته وحسنه وطيبه يخفف من حرارة الذكرى .
(٣) الداجى المظلم والمدجن المتلبد بالسحب ويهمى أى يسح ويمطر .
(٤) زوى وجهه أى لواه وأخفاه .
(٥) ليس أعذب من ليالى الصيف ولا أرق منها ولا أسلس والمعنى أنه قد يمضى عليك يوم شتوى بارد فينسيك طيب ما لقيت فيه حسن ليالى الصيف .
(٦) المراد هنا بالقهوة قهوة البن والعرب تعنى بها الخمر قال البحترى :

فاشرب على زهر الرياض يشوبه ... زهر الخدود وزهرة الصهباء
من قهوة تنسى الهموم وتبعث الـ ... ـشوق الذى قد ضل فى الأحشاء

(٧) تقر السمع أى تجعل فيه وقراً — إذا وصلك الحبيب فأنت تريد أن تمتع عينك بالنظر إليه وأذنك باستماع صوته ولا خير فى الخمر ما دامت تعطل هاتين الحاستين بعض التعطيل .

ضلّ لعمرى المحتسى للرّاح أيـــامٌ أخر
أيـــام لا يلقى الفتى معاوناً على الفكر(١)

يا يومُ جدّدتَ لنا منّى فمن لى بالظّفر
وكان جرحى قد أوَى على الليـــالى فغفر(٢)
ياليت حبّى وردةٌ تروق حسناً من نظر
يُومضُ فيهـا طلّهـا مبتسماً إلى الغـدر(٣)
تفـــاوحُ الغيثَ كما فاوحَ شعرى مَن سحر(٤)
وليتنى حمامـــةٌ أصدح فى ضوءِ القمر
أبكى إذا ألوت بهـا هوج الرياح والمطر(٥)
أبكى واستبكى لها بمعزلٍ عن البشر
حتّى إذا عاد الرّبيـــ ـعُ واكتسى الروضُ الخبر
غنّيتها مؤهـــلا مرحّبـاً بين الشجر
أو ليتنى لؤلؤةُ الـ ـطل عليهـــا فى السحر
أنعمُ فيهـــا ليلتى بطيب ذاك المختبر
حتّى إذا الصبح جلا الـ ـظـلام عنـا وحسر
ركبتُ متن الريح أو جو كرة لمـا غـبر

---

(١) ولكن الخمر تحلو إذا استضافتك الهموم ولم تدر كيف تطردها .
(٢) أوى الجرح قارب الشفاء وغفر انتكس بعد البرء .
(٣) يومض أى يلمع والغدر جمع غدير .
(٤) فاح الطيب سطعت رائحته والمفاوحه المفاعلة من ذلك .
(٥) ألوى به ذهب به قال ابن الرومى :
تهـزم الجيش أوحـديا وتلـوى بالصنـــاديـد أيمـــا إلواء

ثورة النفس

أرسل إلينا صديقنا الشاعر الجليل عبد الرحمن أفندى شكرى قصيدة بهذا العنوان من القافية المزدوجة قال فيها :

هياج كما هاجت قطاة تعلقت ... بأحبولة الصياد إذ ليس مهرب
أما فى سكون الليل يانفس واعظٌ ... أما فى سكون الروض ملهى ومطرب

فأجبناه بهذه القصيدة :

أخا ثقتى كم ثارت النفس ثورة ... تكلفنى مالا أطيق من المض
وهل أنا الا رب صدر إذا غلا ... شعرت بمثل السهم من شدة النبض[1]

لبست رداء الدهر عشرين حجةً ... وثنتين يا شوقى إلى خلع ذا البرد
عزوفاً عن الدنيا ومن لم يجد بها ... مَراداً لآمالٍ تعلل بالزهـــد[2]

---

(١) المض الألم ومعنى غلا الصدر هاج والمراد أن الصدر إذ غلا واشتد خفقان القلب شعرت بمثل وخز السهم .

(٢) المراد بخلع برد العيش الموت — عزفت النفس عن الشيء أى زهدت فيه وانصرفت عنه والمراد اسم مكان من الرياد وهو الذهاب فى التماس النجعة — والمرء إذا وقفت آماله على شفا اليأس وأضمر القنوط مما يطلب تعلل بالزهد فى الدنيا .

تراغمنى الأحداث حتى كأننى ... وجدت على كره من الحدثان
فلا هى تصمى القلب منها إذا رمت ... ولا ترعوى يوماً عن الشنآن[1]
أبيت كأن القلب كهفٌ مهدمٌ ... برأس منيف فيه للريح ملعب
أو انى فى بحر الحوادث صخرةٌ ... تناطحها الأمواجُ وهى تقلبُ

أدور بعينٍ حيّر العيشُ لحظها ... وأرجعها محمرّةً كالشقائق[2]
كأنّ فؤادى بين سجرٍ وترحةٍ ... أديمٌ تفرّيه أكفّ الخوالق

أكنّ غليلى فى فؤادى ولا أرى ... سبيلاً إلى اطفاء حرّ جوى الصدر
أعالج نفساً أكبرُ الظن أنها ... ستذهب أنفاساً حراراً على الدهر

إذا اغتمضت عيناى فالقلب ساهرٌ ... يظلّ طويلَ الليل يرعى ويرصدُ
وما إن تنام العينُ لكن إخالها ... تدير بقلبى نظرةً حين أرقد[3]

---

(١) أصماه السهم أى قتله قال ابن الرومى :

تشكى المحب وتلفى الدهر شاكية ... كالقوس تصمى الرمايا وهى مرنان

والشنآن البغض والكراهية . وارعوى عن الشىء رجع عنه .

(٢) الشقائق جمع شقيقة وهى زهر أحمر قال البحترى :

شقائق يحملن الندى فكأنها ... دموع التصابى فى خدود الخرائد

والأديم الجلد والخوالق هم الذين يقطعون الجلود ويفرى يقطع .

(٣) اغتمضت العين أغمضت ودب فيها النوم ومعنى البيت الثانى أن عينى لا تنام ولكنها تطبق جفنيها لتفتحهما على ما فى القلب .

وهل نافعى أنّ الرياضَ حليّةٌ منوّرة النّوار هادلةُ الطير
وما فرحى أنّ الرياحَ روّاقدٌ إذا كنتُ سهران الفؤاد مدى الدهر

نسيمٌ يردّ النّفسَ حيناً لناشق وأىُّ أوام بعـــده وأوارِ
تطول ظلالُ النبت والشمسُ طفلةٌ فانهى جدّت صرنَ جِدقصار[1]

سأقضى حياتى ثائرَ النّفس هائجاً ومن أين لى عن ذاكمعدّى ومذهبُ
على قدر إحساس الرّجال شقاؤهم وللسعد جوٌّ بالبلادة مشرب[2]

خليلىّ مهلاً بارك الله فيكما فما فى سكون الليل مسلاةُ واجد
إذا ثار ما بين الحجابين والحشا فكلُّ سكون يستثير رواقدى[3]

وإن سكنت نفسى فليس بضائرى رياحٌ تجر الذيلَ حولى وتعصفُ
فليس يضير الحوت فى البحر أنه يهيج وأنّ الموج يطغى ويعنف[4]

---

(١) ظلال النبت تكون فى الصباح طويلة ولكنها تقصر كلما جدت الشمس فى المسير وجد قصار أى قصار جداً .

(٢) الرجل البليد النفس لا يكون كثير الآلام وعلى العكس منه من كان قوى الإحساس .

(٣) الخطاب موجه للشاعرين الجليلين — عبد الرحمن أفندى شكرى وعباس أفندى محمود العقاد — إذا ثارت النفس ولم ينفعها أن ما حولها ساكن بل ربما كان ذلك أبعث على تلهبها .

(٤) وإن هى سكنت فليس يضرها هياج الرياح كما أن الحوت لا يضره هياج البحر وانتطاح الأمواج .

ليلة وداع

ودّعته والليل يخفرنا ... والبدرُ يرمقنى ويرمقهُ

والماءُ يجرى فى تدفقه ... ويكاد ماءُ العين يسقبه

والندىُّ ينهاه تمنّعه ... والحب يأمره ترفّقه

ولربّ خدٍّ بتُّ ألثمه ... والدمع يطفىءُ ما أحرقه(١)

والورد أقطفه لوجنته ... والشوك فى قلبى مفوقه

لما رأيت الليلَ زايلنا ... وأذاع سرَّ الصبح مشرقه(٢)

طأطأتُ لا أرنو لرونقه ... فالحسن يطغى الصبَّ رونقه(٣)

---

(١) إذا ترادفت القبل على الخد تورد واحمر فكأن الدموع إذ تسيل عليه تطفىء ما أججه الفم

(٢) زايلنا أى فارقنا .

(٣) طأطأت أى أطرقت ورنا إلى الشىء إذا أدام النظر إليه فى سكون — والمعنى لما ذهب عنا الليل وطلعت الشمس خفت أن يطغينى رونق الحسن الجائل فى وجهه فأطرقت ولم أنظر إليه .

رقية حسناء

نم هنيئاً فى ظلّ الفينـــان ... وانسَ برح الهموم والأشجان[1]

وانسَ ما كان من زفير على الهجر ... ودمعٍ يجرى بغير عنـــان[2]

وانظر العيش فى منامك والدهرَ ... بعينٍ قريرة الإنســـان[3]

هذه راحتى على وجهك الغض ... وروحى وريفـــة الأفنان[4]

— ليتصور القارىء فتاة بارعة الشكل تنظر إلى صورتها فى المرآة وتعجب بملاحة معارفها ، ورشاقة قدها ، ووضاءة طلعتها ، وهو أمر ليس بالنادر الوقوع . وما أظن إلا أن كل جميلة إذا خلت إلى نفسها تصورت حبيبها إلى جانبها على الصورة التى تريدها ، أما فتاتنا الوهمية هذه فقد تصورت حبيبها بجانبها وقد خبله الحب . وأنحله العشق . واستوكف دموعه الوجدَ . وغيره السهاد . وسودت فى عينيه نور الضحى نار الهجر . فأحبت أن ترجع إليه نفسه وتذهب عنه برحاء الصدر فرقته بهذه الرقية .

(١) الفينان الطويل الحسن — يقال شعر فينان أى له فنون كأفنان الشجر والفنون تكون فى الأغصان والشعر يشبه بالغصن قال الشاعر :

« ينفضن أفنان السبيب والعذر » ، وقال المرار :

أعلاقة أم الوليـــد بعـد مـا ... أفنـــان رأسك كالثغام المخلس

يعنى خصل جمة رأسه حين شاب . والظل الفينان هو الكثير الأفنان — والبرح الشدة .

(٢) المراد بدمع يجرى بغير عنان — انه لا يرقأ — والجواد إذا لم يكن له عنان فأحر أن لا يكبحه شىء .

(٣) إنسان العين حدقتها — وقرت العين — قال بعضهم معناه بردت وانقطع بكاؤها واستحرارها بالدمع فان للسرور دمعة باردة وللحزن دمعة حارة — وقيل هو من القرار أى رأت ما كانت متشوقة إليه فقرت ونامت — وقال بعضهم قرت عينه مأخوذة من القرور وهو الدمع البارد يخرج مع الفرح .

(٤) الراحة بطن الكف — والروح تذكر وتؤنث — وورف النبت والشجر تنعم واهتز ورأيت خضرته بهجة من ريه ونعمته وهو وارف أى ناضر رؤف شديد الخضرة ووارف الظل اتسع وامتد ، قال الشاعر :

وأحوى كأيم الضال أطـرق بعد ما ... حباه تحت فينـــان من الظل وارف

وقال معقر بن حمار البارقى :

مـــن الـلاتى سنـابكهن ثم ... أخـف مشاشها لـين وريف

وفؤادى مرفرف بجناحيـــه حناناً فانشقّ نسيم الحنان(١)

وبنانى مخضبٌ كعصا السا حر يجرى الحياةَ فى الأبدان(٢)

لك من أدمعى حياةٌ كما للزّ هر من صيّب الحيا الهتّان(٣)

ورياضٌ من حسن وجهى حوالٍ وجنانٌ من منظرى الأضحيان(٤)

---

(١) رفرف الطائر حرك جناحيه وهو لا يبرح مكانه – ورفرف الرجل على الرجل بجناحه أى أشفقَ عليه وحنا – والحنان هو الحنو والرأفة والعطف .

(٢) البنان الأصبع وقيل بل طرفه – والخضاب ما يخضب به من حناء وكتم ونحوه ، قال الأعشى :

أرى رجـلا منـكم أسيفاً كأنمـا يضم إلى كشحيـه كفا مخضباً

ذكر على إرادة العضو أو على قوله :

فـلا مـزنة ودقت ودقهـــا ولا أرض أبقـل إبقالهـا

ويجوز أن يكون صفة لرجل أو حالا من المضمر فى يضم أو المخفوض فى كشحيه – والمعنى أنى إذا امررت بنانى المخضب على جبينك عادت إليك نفسك ودبت فيك الحياة فكأن بنانى عصا ساحر .

(٣) أى دموعى – التى هى دموع الرحمة – إذا تـاقطت عليك أحيتك كما يحيى الزهر ساقط الطل – والحيا مقصور الغيث – والصوب نزول المطر يقال مطر صوب وصيب ، قال تعالى أو كصيب من السماء وقال الشاعر :

« كأنهم صابت عليهم سحابة » .

وهتنت السماء صبت وأمطرت .

(٤) المعنى أنك إذا نظرت إلى حسن وجهى كنت منه فى رياض حاليات من بديع الزهر – وليلة اضحيان بالكسر مضيئة لا غيم فيها وقيل مقمرة وخص بعضهم به الليلة التى يكون القمر فيها من أولها إلى آخرها – ويوم أضحيان كذلك مضيء لا غيم فيه ، والجنان جمع جنة وهى الحديقة ذات الشجر والنخل ، قال الشاعر :

درى باليسـارى جنـة عبقـرية مسطعة الأعنـاق بلق القـوادم

يعنى بالجنة هنا ابلا كالبستان ومسطعة من السطاع وهى سمة فى العنق – وقد يجوز أنه أراد جنة بالكسر لأنه قد وصف بعبقرية أى ابلا مثل الجنة فى حدتها ونفارها على أنه لا يبعد الأول وأن وصفها بالعبقرية وقد يجوز أن يعنى ما أخرج الربيع من ألوانها وأوبارها وجميل شارتها وقد قيل كل جيد عبقرى .

وأغانٍ خرساءَ ترصف فى الأسـ ـماع منثورَ مفرحات الأمانى[1]

ونسيم لتا يهبّ على النفس بعرف الريحان والأقحوان[2]

وضياء يشيع فى ساحة الصدـ ـر فيجلو مخيّمَ الأدجان[3]

ويردّ الشبابَ حتى كأن الـ ـمرءَ يختال فى شبـاب ثان

---

(١) أى أنك إذا دنوت منك تسمع ألحاناً وأنغاماً لا صوت لها . . إلخ .

(٢) الريحان نبت طيب الرائحة والأقحوان بضم الهمزة واحد من نبات الربيع له نور أبيض — والعرف الرائحه الطيبة .

(٣) شاع الضياء انتشر — أى نور هذا الحسن يجلو الظلام المخيم فى الصدر .

الوردة الذابلة

أرجٌ كأنفـــاس الحبيـ ـبة حين تُدنى منك فاها (١)
وغـــلائلٌ بات الغما مُ يجودها حتى رواها (٢)
ذبلتْ وأخلق حسنُهـــا ياليت شعـرى مادهاها (٣)
رويتهـــا بمـدامعى لو كان يحييهـــا حياها (٤)
وضممتهـــا ضمّ الحبيـ ـب عسى يعود لها صباها
وزفرتُ علّ زوافرى تجدى فزادت فى ذواها (٥)
فرميتهـــا وبرغم أنـ ـنى أنى من قد رماهـا
ولو استطعتُ حنيت أضـ ـلاعى على ذاوى سنـاها (٦)

---

(١) الأرج الرائحة الطيبة الذكية .

(٢) غلائل الورد أوراقه — وجادها أمطرها .

(٣) خلق الثوب واخلق بلى ، قال الأعشى :

ألا يا قتـل قد خلـق الجديـد وحبـك ما يبح ولا يبيـد

وقال ابن هرمة :

عجبت أثيلة أن رأتنى مخلقاً ثكلتك أمك أى ذاك يروع
قد يدرك الشرف الفتى وردائه خلق وجيب قميصه مرقوع

قوله مخلقاً أى ذو أخلاق — ودهاه الأمر نزل به ومنه الداهية أى النازلة .

(٤) يحييها أى يرجع إليها الحياة — والحيا مقصور الغيث .

(٥) زفر الرجل زفراً وزفيراً وهو إن يخرج النفس بعد أن يملأ صدره منه — وتجدى أى تنفع — وذوى العود والبقل يذوى ذبل وهو أن لا يصيبه ريه أو يضر به اخر فيذبل ويضعف قال الشاعر :

رأيت الفتى يبتز كالغصن ناعماً تراه محيا ثم يصبح قد ذوى

(٦) الذاوى الذابل والسنى الضوء .

لحظ الحبيب

ما أفصحَ اللحظَ يا حبيبي ... وأعذبَ البثَّ بالعيون (١)

ما الشاعر الفحلُ حرّكه ... على النوى هزّةُ الحنين (٢)

أخلب لى منطقاً وأحلى ... من نظرة الطرف فى سكون

لحظٌ يضيء الذى توارى ... فى ظلمة الغابر الدفين

له ضياء إذا ترامى ... على النجيّات والشجون (٣)

أعارها نوره فعادت ... تندى على مهدى الحزين (٤)

---

(١) بثه الحديث أطلعه عليه ، قال أبو كبير :

ثم انصرفت ولم أبثك حبيبتى ... رعش البنان أطيش مشى الأصور

(وفى رواية رعش العظام (أراد ولم أخبرك بكل سوء حالتى .

(٢) الفحل فى الأصل معروف — الذكر من كل حيوان وفحول الشعراء هم الذين غلبوا بالهجاء من هاجاهم مثل جرير والفرزدق وأشباههما وكذلك كل من عارض شاعراً فغلب عليه مثل علقمة بن عبدة وكان يسمى فحلا لأنه عارض امرأ القيس فى قصيدته التى يقول فى أولها « خليلى مرابى على أم جندب » .

بقوله فى قصيدته « ذهبت من الهجران فى غير مذهب » .

وكل واحد منهما يعارض صاحبه فى نعت فرسه ففضل علقمة عليه ولقب الفحل وقيل سمى علقمة الشاعر فحلا لأنه تزوج بأم جندب حين طلقها امرؤ القيس لما غلبته فى الشعر — والحنين الشوق .

(٣) النجيات ما تناجى به نفسك أى تساورها ، قال الشاعر :

فبتّ أنجو بها نفساً تكلفنى ... ما لا يهم به الجشامة الورع

(٤) ندى الشىء أخضل وصارت له بلة وندى على المهجة أى نالتها منه نداوة وبلل .

يا قرة العين أنت حسبي لولاك ما أثمرت غصوني
لولاك لم أحتمل حياتي ولم أطق صفقةَ الغبين
وددتُ لو تنفع الأماني لو كنتَ لدنا من الغصون(١)
وليتني صيدحٌ يغنّي في ظلك الوارف الأمين(٢)
كن لي فانى إذا استهلّت على الثرى ديمةُ الشؤون(٣)
لينبتُ الوردُ والاقاحي وضاحة الثغر والجبين (٤)
وإنما سجعةُ القماري في الليل ترجيعةُ الأنين(٥)

---

(١) اللدن اللين من كل شيء — والمعنى أني أتمنى أن يكون الحبيب غصناً ليناً غض الثنى وإن أكون أنا طائراً أغنى في ظله الواسع الممتد الأمين .

(٢) الصيدح هو الذي يرفع صوته بغناء أو غيره .

(٣) استهل المطر اشتد انصبابه — والديمة المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق والسحابة قال لبيد :

باتت وأسبل والف من ديمة تروى الخمائل دائماً تسجامها

وقال أبو تمام :

ديمة سمحة القياد سكوب مستغيث بها الثرى المكروب

(٤) الأقاحي جمع أقحوان وهو زهر طيب الرائحة — والمعنى أن الورد والأقاحي تنبت حيث تسقط دموعي والمراد بذلك ظاهر .

(٥) القماري جمع قمري وهو طائر صداح له صوت حسن والمعنى أن القماري تردد بسجعها في الليل ما تسمعه مني من الأنين .

بعد الموت

ترى يذكر الأحياءَ أهلُ المقابر ... ويعتادهم فيها كشوق المسافر(١)

وهل تظمأ الأمُّ العطوف إلى ابنها ... إذا انتزعتها منه أيدى المقادر(٢)

تقول ألا ياليته لصقَ أضلعى ... كعهدى به والنومُ ملءُ المحاجر(٣)

أضمّ الى صدرى حشاشةَ نفسه ... وأملأ قلبى منه بعد النواظر(٤)

وهل يحمل الصبُّ المشوق ولوعه ... ويصبو إلى سحر العيون الزواهر(٥)

ويذكر أيام القطيعة والنوى ... وأيام وصل الآنسات الغرائر(٦)

فان جشأت فى صدره غصص الجوى ... وجلّله وجدُ الحسان التوافر(٧)

---

(١) يعتاده أى ينتابه ويعاوده مرة بعد أخرى — المعنى هل يذكر سكان القبور أهلهم واخوانهم الذين لا يزالون أحياء وهل يشتاقونهم كما يشتاق المسافر من فارق من أهله وصحابه .

(٢) ظمىء إليه أى اشتاقه وحن إليه — والعطوف الكثيرة العطف والحنان والمعنى — هل تشتاق الأم الميتة ابنها الحى .

(٣) المحاجر جمع محجر بفتح الميم وكسرها ، وكسر الجيم وفتحها ، العين أو ما دار بها من العظم الذى فى أسفل الجفن — والمعنى وهل تقول الأم وهى فى قبرها أيا ليت ابنى الآن لصق ضلوعى كما كنا نفعل فى الحياة إذا نمنا .

(٤) الحشاشة بقية الروح — أى أضمه إلى صدرى وأملأ بعد الموت قلبى منه بعدأن ملأت فى الحياة نواظرى منه .

(٥) المشوق الشديد الشوق اسم مفعول من شاقه الأمر .

قال البحترى :

ليشوقنى سحر العيون المجتلى ... ويروقنى ورد الخدود الأحمر

والولوع بفتح الواو مصدر ولع بالشىء أى كلف به — والزاهر المشرق والمعنى — إذا مات العاشق فهل يحمل معه فى القبر حبه وهل يشوقه وهو فى القبر سحر العيون المشرقة .

(٦) وهل يذكر أيام الهجر والفراق وأيام وصال الحسان — والآنسة هى التى تؤنسك بحديثها أو هى التى يأنس بها قلبك ويسكن إليها ولا ينفر .

(٧) جشأت جاشت — وجاشت الغصة إذا هاج ألمها وتعذر تسكينها — وجلله غطاه يقال جلله وتجلله الهم أو المرض قال النمر :

وثارت إلينا بالصعيد كأنما ... تجللها من نافض الوجد افكل

بكى شجوه فى ظلمة القبر وانثنى ... يعالج إلمام الخيال المزاور[1]

وما حالُ طفلٍ ضامر ظامىء الحشا ... إذا غاله سهمُ المنايا الجوائر[2]

أيذكر ثدى الأمّ فى كل لحظة ... ويبكى حجور المحصنات الحرائر[3]

وهل يحلم المفلوك فى رقدة الردى ... بما كان يلقى فى الليالى الغوابر[4]

فيحلم بالإيسار طوراً وبالغنى ... وبالفقر والإملاق فى كل آخر[5]

وهل يسع الملحودُ ريعان زفرة ... ينفّسها قلبٌ جريح الضمائر[6]

على هرم همّ برى الدهرُ عظمه ... وقوّسه عبءُ السنين المواقر[7]

---

(١) الشجو الحزن يقال بكى فلان شجوه وبكت الحمامة شجوها وفى المثل ويل للشجى من الخلى وقال أبو دؤاد :

من لعين بدمعها موليه ... ولنفس بما عناها شجية

(٢) الضامر الدقيق القليل اللحم – وظامىء الحشا من المجاز والمعنى أنه لا رهل فيه قال زهير :

وأن مالا لموعث خازمته ... بألواح مفاصلها ظماء

أى صلاب .

(٣) حصنت المرأة وتحصنت وحصنها زوجها فهى محصنة وأحصنت المرأة فرجها فهى محصنة بالفتح والكسر أيضاً ومنه قوله تعالى «ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات» المراد الحرائر العفيفات وقوله «والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم» المراد الحرائر أيضاً – والمعنى هل يذكر الطفل إذا مات فى القبر ثدى أمه ويبكى حجور النساء العفيفات الحرائر ويحن إلى ذلك العهد أيام كان حياً – أم تراه إذا مات ينسى كل ذلك كأن لم يكن .

(٤) المفلوك الفقير البائس – والغوابر المواضى – والمعنى هل يحلم الفقير البائس إذا مات بما كان يعانيه فى حياته من الفقر والبؤس والخصاصة .

(٥) الايسار والغنى شىء أحد – وكذلك الفقر والاملاق .

(٦) الملحود القبر – قال ابن مناذر يرثى عبد المجيد .

فبرغمى كنت المقدم قبلى ... وبكفر هى دليت فى الملحود

وريعان كل شىء أوله وأفضله وريعان المطر أوله ومنه ريعان الشباب قال :

قد كان يلهيك ريعان الشباب فقد ... ولى الشباب وهذا الشيب منتظر

(٧) الهرم المسن وشيخ هم بكسر الهاء وتشديد الميم لهميمه ومن توهم قدح هم أى قديم متكسر وللشراب هميم فى العظام أى دبيب قال ذو الرمة :

أميلت عليه قرقف بابلية ... لها بعد كأس فى العظام هميم

ويرى الدهر عظمه من المجاز كما يبرى القلم والعبء الحمل – وأوقرت النخلة بالألف كثر حملها فهى موقرة وموقر بحذف الهاء وأوقرت بالبناء للمفعول صار عليها حمل ثقيل – والمعنى أن ما يحمله من السنين الثقال قد قوس ظهره

قراهُ أسًى قد ضاق عنه احتماله ... ومؤنسه فى العيش سود الخواطر(١)

وتحسبه مما تقيّد دميةً ... سوى حسراتٍ أردفت بزوافر(٢)

وتحسبه مما تقوّس طائراً ... ولكنّه عن عشّه غيرُ طائر(٣)

ستخبرنى نفسى إذا حان حينها ... وصرتُ كمن بادوا رهينَ حفائر(٤)

---

(١) قريت الضيف أقريه من باب رمى قرى بالكسر والقصر — والمعنى أن هذا الشيخ الفانى لا يتضيفه إلا الهموم والأحزان ولا يؤنسه فى وحدته بعد فقد من كان يعوله ويواسيه إلا الخواطر السوداء .

(٢) أى أن الهرم قد قيده فهو لا يبرح مكانه فكأنه تمثال لولا أنفاس يصعدها ، وزفرات ينفسها ، وحسرات يرسلها قلبه الجريح على ابنه الفقيد الميت .

(٣) وكأنه لتقوس ظهره وانحنائه واكبابه على الأرض طائر ولكنه وإن أشبه الطائر إلا أنه يختلف عنه فى أنه لا يزايل مكانه ولا يفارق عشه ولا يطير عنه — والمعنى إذا مات رجل كان يعول أباه ويتعهده فى شيخوخته فهل يتألم وهو ميت لحال أبيه الحى البائس وهل يسع القبر زفرة هذا الألم التى يصعدها على أبيه أم يضيق عنها القبر .

(٤) أى أن الأحياء ليس فيهم من يستطيع أن يجيبنى على هذه الأسئلة لأنه لم يعد من القبر ميت فيخبرنا أيشعر الميت فى قبره أم هو يفقد الشعور بعد خروج روحه فلا مناص من الانتظار حتى يوافينى الحين وأصبح كمن ماتوا رهين القبور — وعند ذلك أعلم ما أنا اليوم جاهل ! ! هذه الحيرة تنتاب كل من نظر فى مسألة الحياة والموت وفكر فيها على أن الباعث على التفكير فيها يختلف باختلاف الناس وأمزجتهم أما أنا فانما دفعنى إلى ذلك فزعى من أن لا يفارق المرء شعوره فى القبر واستهوالى للاحساس فى ظلمة هذه الوحدة فان يقظة الشعور فى الحياة مؤلمة فما ظنك بها فى هذه الوحشة وأى رجل لا يرتاع إذا تصور نفسه مستلقياً على ظهره فى القبر لا يستطيع حراكاً وهو على ذلك يشعر بما حوله ويحس بما يكتنفه من الظلام والسكون البارد والوحدة المقلقة ويذكر أيام الحياة وما مر به من شدة ورخاء فيستقبل ما استدبر ويعيش فى كل ثانية فى بطن الأرض ما عاش من سنين فوق ظهرها ، ويقاسى فى اللحظة الواحدة بعد الموت ما قاسى طول عمره فى الحياة من حزن وخوف وحب وبغض وقلق وشوق وندم . . إلخ إلخ . أى فتى يتصور ذلك ولا يستهوله ؟ ألا ليت المرء إذا مات تموت معه نفسه وشعوره !

لفظ الحبيب

لذيذٌ إذا درّ قطرُ الرّهام ... واضمرت البدر سجفُ الغمام(١)
هبوبُ النسيم بعرف الرياض ... يرقرقه فى حواشى الظلام(٢)
لذيذٌ تحدّر ماء الغدير ... وقد أنطق الليل خرس الحمام
لذيذٌ دبيب الكرى فى الجفون ... بعد الكلال وطول القيام(٣)
ولكنّ لفظك من ذاك أحلى ... وأوقع فى قلبى المستهام(٤)
أظلّ إذا استكّ فى مسمعى ... يرف علىّ جناح الغرام(٥)
كأن فؤادىَ مسحورةٌ ... من الفلك فى موجه المتسامى(٦)
تعانقها نفحات النسيم ... ويرقصها زجلٌ ذو التطام(٧)

---

(١) در اللبن وغيره من بابى ضرب وقتل سال وكثر والرهام جمع رهمة بالكسر وهو المطر الضعيف الدائم والسجف جمع سجاف وهو الستر .

(٢) العرف الرائحه الزكية ورقرق النسيم الطيب أجراه وبثه قال :

وتبرد برد رداء العروس ... فى الليل رقرقت فيه العبيرا

(٣) الكرى النعاس — والكلال اللغوب والتعب — والقيام السهر .

(٤) المعنى أن هذه الأشياء كلها لذيذة ولكن لفظك أحلى منها وأعذب وألذ فى قلبى الكلف

(٥) استك فى مسمعى أى دخل أذنى ورف تحرك واختلج واهتز قال ابن مطير :

يمنينا حتى ترف قلوبنا ... رفيف الخزامى بات طل يجودها

(٦) أى إذا سمعت لفظه صرت كأنى سفينة مسحورة تسبح فى موج صوته .

(٧) الزجل بالتحريك الجلبة ورفع الصوت وخص به التطريب قال :

له زجل كأنه صوت حاد ... إذا طلب الوسيقة أو زمير

وقد زجل زجلا فهو زجل بكسر الجيم وفى حديث الملائكة لهم زجل بالتسبيح أى صوت رفيع عال وسحاب ذو زجل أى ذو رعد وغيث زجل — لرعده صوت — ونبت زجل — صوتت فيه الريح قال الأعشى :

« كما استعان بريح عشرق زجل »

والمراد به هنا الموج ذو الصوت — أى أن هذه السفينة يرقصها موج صوته الزجل .

شفاهٌ يؤججن أنفاسه ويلثمن ألفاظهنّ الظوامى[1]
تمهّل ألفاظه علّها تبرّد فى فيه حر الأوام[2]
وتقرع أذنى فتهتاجنى كأنّ لها نشوات المدام[3]
إذا قيّد الهمّ خطو الرجاء أطلقه لى سحر الكلام

---

(١) أى شفته الحمراء المتوردة تؤجج أى تسعر أنفاسه التى يرسلها فتخرج حارة غير باردة ثم هى أيضاً تقبل اللفظ قبل أن يخرج – ومعلوم أن المرء إذا تكلم التقت شفتاه العليا السفلى ثم افترقتا وكذلك تلتقيان وتفترقان عند التقبيل فكأن شفتيه تقبلان ألفاظه . الظوامى أى العطاش .

(٢) أى أنه إذا تكلم لا يسرع تمهل أى تتمهل – فكأن ألفاظه تتباطأ فى فمه عسى أن تبرد فى ثغره حرارة الظمأ – الأوام الصدى والعطش .

(٣) ثم هى إذا وردت على الاذن أسكرت وصار لها فعل الخمر ونشوات جمع نشوة .

– الخطاب موجه إلى صديقنا الشاعر الجليل عباس أفندى محمود العقاد .

مُناجاة شاعِر (*)

يا شاعر النفس كم أبكاك مصرعها ... لقد بكيت على خرقاء مضياع

أسبلت آذىّ عينٍ ما تركت لها ... دمعاً يراق على رزء وأوجاع (١)

آذاك دهرك حتى لست تحفله ... فما تبالى بإخماص وإشباع (٢)

واستطعمتك الليالى كلّ حاذقة ... فما رأت منك إلاّ غير مجزاع (٣)

أنا شبيهان فى شجوٍ وفى ظلع ... وراءَ نجم من الأحلام لمّاع (٤)

كذبتُ نفسى كما كذبتَ بارقها ... وكان بالرغم تصديقى لأطماعى (٥)

يسلكّ صوت المنى سمعى وتومض لى ... ثغورُها عن بديع جدّ خداع (٦)

---

* قد حذفنا من هذه القصيدة ما أملاه الغضب والسخط – وكان بودنا أن لا ننشر منها غير العتاب الأخير .

(١) أسبل الدموع أذراها وأرسلها – والأذى الموج – يراق أى يسكب .

(٢) الأخماص الاجاعة وحفل الأمر وحفل به أى اكترث له وعبأ به .

(٣) الحاذق الخبيث الحموضة لفساد فيه .

(٤) الظلع العرج قال الضريس بن أبى الضريس لعبد الملك حين قتل الأشدق .

وهم قومك الأدنون فارأب صدوعهم ... بحلمك حتى يمض المتظالع

وقيل فى تفسير قولهم لا أنام حتى ينام ظالع الكلاب – هو الذى لا تأخذه عينه لما به من الوجع

(٥) البارق السحاب ذو البرق .

(٦) يسلك أى يدخل – تومض تبرق .

فأنثنى غير مخدوع وكم فتنت ... لبى الأمانى باءاءٍ وتلماع

لله صرخة وجدٍ أنت مرسلها ... ضاعت عليك بواد غير ممراع

وما بهم صممٌ لكنهم جهلوا ... معنى النداء فضلّوا وجهة الداعى

الاّ تجبك نفوسٌ لا تعى أبداً ... فقد أجابك قلبُ السامع الواعى

تدعو المعانى فتأتى وهى طائعةٌ ... إذا التوين على قدمٍ وجعجاع [1]

يعنو لك اللفظُ والمعنى كما امتثلت ... هذى العوالمُ أمر الخالق الراعى [2]

---

(١) التوى الأمر أعضل وتعذر — والقدم العيى القليل الفهم مع ثقل ورخاوة .

(٢) أى يطيعك اللفظ والمعنى كما يطيع هذا الوجود أمر خالقه الذى يرعاه .

إلى صديق قديم

كان لنا صديق أخلصنا له الولاء ، وصدقناه الإخاء ، فما زال يوهن من حبلنا ، ويفصم من عرى ودنا ، حتى انفرجت الحال ووقعت النبوة وجرى بيننا كلام فبعثنا له بهذه القصيدة .

بعض بغضائكم أولى البغضاء ... إنما الشتم شيمة السفهاء
ليس يشفى السبابُ غلّ حسود ... قد طوى صدره على الشحناء (١)
إن داء القلوب داءٌ عياء ... مثل داء المنون للأحياء (٢)
فاستر الضغن إن تشأ أو فجاهر ... قد عرفناك فاسد الأهواء (٣)
أنت كالذئب خدنُ غدر ولؤم ... ليس للذئب فى الورى من وفاء
ما رأيناك بالاخاء خليقاً ... ورأيناك أهل هذا الجفاء
قد تكلفت أن أعارض طبعى ... وأجاريك مرة فى الهجاء
فرأيت الكريم يعجز عنه ... عجز برد الشتاء عن إدفاء
ورأيت الهجاء يرفع منكم ... إنّ ذمّ الوضيع كالأطراء
ما يبالى مستهتكٌ نلتَ منه ... أم عليه وقفت كل ثناء (٤)
لا تغضّ العيوبُ طرفَ بغىّ ... نشأت بين بيئة شنعاء

---

(١) الشحناء العداوة والبغضاء .

(٢) المراد بداء القلوب الحقد – والعياء الذى يعييك أن تداويه ويعجزك أن تشفيه – أى أن الحقد كالموت ليس له دواء .

(٣) الضغن هو الحقد والغل – أى سواء لدينا أخفيت ما تحمله علينا من الحقد أم كاشفتنا به – فقد عرفناك مريض القلب فاسد الطوية .

(٤) المستهتك هو الذى أقلع عن مذاهب الحشمة وأبرز صفحة الوقاحة وأصبح لا يبالى أن يهتك ستره – أى مثل هذا الرجل لا يبـ بمدحك ولا بذمك .

كيف يندى جبينُ من غاض منه ... كل ماء وغار كل حياء[1]

رب قول لو كان فى الصمّ بضت ... لم يؤثر فى أنفس اللؤماء[2]

ومقال تسوخ منه جبالٌ ... عاد كالسيف نابياً عن مضاء[3]

* * *

يا حماة الآداب نمتم طويلا ... نومة نبهت جيوش البلاء[4]

من لستر الحياء يهتكه الغر ... ويفرى فى جوفه كالداء[5]

من لوجه الأحساب يخدشه الغر ... وينعى بالخدشة النكراء[6]

ولقلب الأخلاق يطعنه الغر ... ويجرى دماءه كالماء

ولروض الآداب جف وأمسى ... ظاهر الجدب لابساً من عفاء[7]

ذهب الود والحياء جميعاً ... لهفَ أرضى عليهما وسمائى

وتبدلتُ من رجالٍ وفاءٍ ... كلّ غر مماذق فى الوفاء[8]

يتلقّاك بالطلاقة والبشر ... وفى قلبه قطوبُ العداء[9]

كالسراب الرقراق يحسبه الظمآ ... ن ماء وما به من ماء[10]

---

(١) أى كيف يجرى على جبينه عرق الحياء وقد غاض من وجهه كل ماء – غار الماء ذهب فى الأرض – وغاض نضب .

(٢) فى الصم أى فى الصخور الصم – وبضت أى خرج منها الماء .

(٣) نبا السيف عن الضريبة نبوا من باب قتل ونبوا على فعول بضم الفاء رجع من غير قطع – ساخ – ذهب فى الأرض .

(٤) نبهت أى أيقظت قال بشار :

إذا أيقظتك صعاب الأمور ... فنبه لها عمرا ثم نم

(٥) هتك الستر هتكا من باب ضرب خرقه – ويفرى يقطع .

(٦) خدش جرح وينعى بالشىء يفخر به .

(٧) الجدب المحل وزناً ومعنى وهو انقطاع المطر ويبس الأرض – وعفا الشىء درس وبلى .

(٨) ماذق فى الود لم يخلصه من مذق اللبن إذا مزجه بالماء .

(٩) القطوب ضد البشر – أى يلقاك بوجه ضاحك مستبشر وهو يطوى دونك قلباً عابساً نغلا بالعداوة .

(١٠) ترقرق الماء جرى جرياً سهلا فهو رقراق – وترقرق السراب . قال ذو الرمة :

يدوم رقراق السراب برأسه ... كما دومت فى الخيط فلكة مغزل

عاجز الرأى والمروءة والنف س ضئيل الآمال والأهـواء
ألف الذلّ فاستنام إليـه وتباهى به على الشرفـاء
ينسج الزور والأباطيل نسجاً والأكاذيب ملجأ الضعفـاء
لو تراه بالليل يخطر عجباً فى مسوك الفرنجة السوداء(١)
قلت قردٌ من آل (دروين) ناشٍ أخذت منه سورة الصهبـاء(٢)
مستميت إلى المكاسب والربـ ـح دنئ الأسفاف والكبرياء(٣)
فاسق يظهر العفاف ويخفى تحته الخزى ياله من مراء
مظلم الحسّ والبصيرة كالتمـ ـثال خلو من الحجا والذكاء(٤)
قد زهاه الشموخُ فاختال تيهاً ولوى شدقه على الخلصاء(٥)
وعدا طوره فأركبه الجهل جموحاً ألقته فى عوصاء(٦)
فغدا كالحمار أوهمه الشيطا ن أمراً فصاح من خيلاء(٧)

---

(١) المسوك هى الثياب .
(٢) دروين هو صاحب المذهب المشهور فى أصل الإنسان والقائل بكثرة وجوه الشبه بينه وبين القرد — نشى سكر — والصهباء الخمر — أى كأنه قرد سكران .
(٣) أسف الطائر طار عداء الأرض دانياً منها حتى كادت رجلاه تصيبانها ومنه أسف للأمر الدنىء وإليه قال :
وسام جسيمات الأمور ولا تسكن مسفا إلى ما دق منهن دانيـا
(٤) مظلم الحس أى أعمى الفؤاد بليد الذهن — والحجا بالكسر والقصر العقل .
(٥) زهاه من الزهو وهو الكبر — يقال زهى بكذا وزهاه الاعجاب والتيه . قال أبو المثلم الهذلى :
متى ما أشأ غـير زهـو الملو ك أجعلك رهطا عـلى حيض
وشمخ الجبل يشمخ بفتحتين ارتفع فهو شامخ ومنه قيل شمخ بأنفه إذا تكبر ومنه الشموخ وهو الكبر — والشدق جانب الفم والخلصاء جمع خلص وهو الصديق الأثير الحميم .
(٦) عدا طوره أى جاوز حده — وجمح الفرس براكبه جماحاً بالكسر وجموحاً بالضم استعصى فهو جموح بالفتح وجامح يستوى فيه المذكر والمؤنث . قال :
خلعت عـذارى جانحا ما يردنى عن البيض أمثال الدمى زجر زاجر
والعوصاء الشدة .
(٧) يقال إن الشيطان يهمس فى أذن الحمار أن هذه الحمارة قد فتنها حسنك وسحرها جمالك وخلبها صوتك فيغتر بذلك ويصيح صياح المنكر — وكذلك هذا الأبله .

هو حتّى الجليس يدفع فى الصد ... ر بثقيل الكلام والإيماء[1]

أعجميُّ اللسان فهْوَ عيٌّ ... يدّعى أنه من الفصحاء[2]

يملأ السمعَ والقلوب كما يز ... عم رطب اللسان عذب الأداء

يا قطيع اللسان مالك والشعر ... وصوغ الكلام جم العناء

أنت فى الأرض نقمة الله للنا ... س جميعاً قريبهم والنائى

قد لعمرى نكبتَ عن جدد الرش ... د وأوغلتَ فى شعاب الزياء[3]

أنت فى الزهو والسفاهة واللؤ ... م عديم المثال دون مراء

لو على قدر بطء حسّك يوماً ... كنت كيساً ذا أربة وذكاء[4]

لبلغت السنام من قلل المج ... د وجاوزت رتبة الأنبياء[5]

ضجّ من لؤمك الخلائقُ فى الأر ... ض وعاذوا من شرّه فى السماء

صار إبليسُ عند ربك مقبو ... لا وقد كان قبل فى الأشقياء

عشّش اللؤم فى فؤادك وارتا ... ش فيارحمة على الأحيـاء[6]

* * *

---

(١) يدفع فى الصدر أى يكرب ويفجر .

(٢) الأعجمى ضد الفصيح والعيى العاجز عن الكلام والفه المفحم – ورطب اللسان أى بليل اللسان إذا كان لسانه سهل الجرى مستمراً على المنطق – وعذب الأداء أى حسن التحقيق والابانة والمنطق .

(٣) نكب عدل ومال والجدد جمع جدة بالضم وهى ما انشعب من الوادى وأخذ فى طريق غير طريقه .

(٤) الكيس بالتخفيف العاقل الظريف والأربة بالكسر والضم الحصافة والعقل والفطنة . قال :

رب ذى أربة مقـل من المـا ... ل وذى عنجهيـة مجـدود

(٥) السنام من سنام البعير وهو أعلى ظهره والقلل جمع قلة وهى من الجبل أعلاه .

(٦) عش الطائر ما يجمعه على الشجر من حطام العيدان وعشش أى اتخذ له عشاً . قال عمر بن الخطاب لرجل : إنى باعثك إلى بلد قد عشش فيه الشيطان . . إلخ . والريش من الطائر معروف وارتاش صار له ريش .

لا أقال الألهُ من خانني الغيب وجازى الحفاظَ شر جزاء [1]

ظنّ أنى على التحلّم ماضٍ فمضى ضلّةً على الغُلواء [2]

وغلا فى الضلال فاشتبه الأمرُ عليه وبات فى عشواء [3]

وأراه الغرورُ أنا سواءٌ فتباهى وليس من نظرائى

كيف تعطو وليس عندك نوطٌ وتسامى وأنت فى اليوغاء [4]

أسفاً للعقول ضلّت وزاغت عن سبيل الهدى ووضّح السواء [5]

كنتَ فى ظلّنا الوريف مقيماً آمن البال وادع الأحشاء [6]

فاستثرت المنسىّ من فارط الذنب وأوغرت صدرنا بالبذاء [7]

أنت أسخطتنا عليك فحلنا عنك لمّا جهلتَ وجهَ الرضاء [8]

أنت وثّبتنا عليك وقد كنت موقّى فى غرّة ورخاء [9]

---

(١) أقاله إذا رفعه من سقوطه — والحفاظ صون العهد وقد مر .

(٢) التحلم تكلف الحلم — والغلواء الطغيان — وضلة — ضلالا . قال ابن الرومى من هزيته المشهورة .

ضلة لامرىء يشمر فى الجمـــع (م(لعيش مشمـــر فى الفنـــاء

(٣) غلا فى الضلال أى جاوز الحد فيه — اشتبه الأمر عليه أى التبس — والعشواء الظلمة أى بات فى حيرة من أمره ومنه قولهم خبط عشواء أى يخطىء ويصيب كالناقة التى فى عينها سوء إذا خبطت بيدها . قال زهير :

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمتـه ومن تخطىء يعمـر فيهرم

(٤) عطا يعطو إذا تطاول إلى الشىء ليتناوله . قال :

تحـك بقرنهـا بريـر أراكة وتعطو بظلفيها إذا الغصن طالها

والنوط بالفتح كل ما علق من شىء — أى كيف تفتخر وليس عندك شىء وتتناول وليس هناك شىء معلق وتساميا وأنت فى البوغاء وهم سقاطة الناس ورعاعهم .

(٥) زاغ مال .

(٦) وادع أى مستريح .

(٧) استثار هاج وأخرج — والفارط السابق — وأوغرت صدرنا أى احقدتنا عليك — والبذاء — السفه وفحش المنطق .

(٨) حال عنه أى مال وأعرض .

(٩) وثبه بالتشديد أى جعله يثب أى احقدتنا عليك فوثبنا — موقى اسم مفعول من وقى بالتشديد أى صان وحفظ .

أنت ضاغنتنا وخشّنت صدراً ... كان يحنو عليك فى البأساء[1]

أنت قطّعت حبل خلّك بالغد ... ر وأيبستَ ثدىَ هذا الأخاء[2]

أنت ناوأتنا وعلمتنا الثلب ... فرشنا لكم سهام الهجاء[3]

حزت ذمى وللرياح السوافى ... مثل ذم التراب والحصباء[4]

لا يغرّنك ما ترى من أناتى ... واحتبائى بالحلم والأغضاء[5]

ربما استُنزلَ الحليم عن الرفق ... وثارت سكينة الحكماء[6]

قد أذقناك حين أصفيتنا الودّ ... وفاءً أعذبْ به من وفاء[7]

كان ودّى مصفّقاً لم أعكّره ... برنقٍ من القلى والرياء[8]

ولقد أينع الوداد على الأيا ... واستحصفت حبالُ الأخاء[9]

---

(١) ضاغنة أى حاقدة من الضغينة وهى الحقد والبأساء – الشدة .

(٢) قطعت بالتشديد حبل خلك أى أفسدت ما بينك وبينه من الود وأخلقت العهد – يقال بين القوم ثدى أيبس كناية عن انقطاع الصلة واليابس هو الجاف الذى ذهب نداه – قال العباس بن مرداس :

تدعو (هوازن) بالأخاء وبيننا ... ثدى تمد به (هوازن) أيبس

(٣) ناوأه عاداه – والثلب الطعن – راش السهم أصلح ريشه . قال :

وإن انتقم منه أكن مثل رائش ... سهام عدو يتّقيها بها العظم

(٤) السوافى هى الرياح اللواتى يسفين التراب ويحملنه على وجه الأرض يهجمنه على الناس – والحصباء الحصا – كبارها وصغارها – واحدتها حصبة كقصبة وقصباء – وعند بعضهم اسم للجمع – والمعنى أن الرياح إذا ثارت حملت التراب والحصا وسفتها فى وجوه الناس والناس تذم التراب المسفى فى وجوههم وكذلك الرياح التى حملته مذمومة وأنت قد أطلت علينا لسانك فجاءتنا منك قوارص ولواسع نفمها ونلمك إذ كنت الرامى بها .

(٥) الأناة الحلم والرفق – واحتبى الرجل إذا جمع ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ويستعمل الاحتباء كناية عن الحلم ونقضه كناية عن الطيش .

(٦) استنزل عن الرفق أى حفز عن دعته وركانته وحلمه واستخفه الغضب – أى لا يغرك ما ترى من حلمنا وسكون ريحنا فقد يحل الغضب حبوة الحليم وتذهب عن الحكيم رزانته وتثور ريحه .

(٧) أصفاه الود أى أخلصه له وجعله صافياً .

(٨) مصفقاً من تصفيق الشراب وهو تصفيته – الرنق ضد الصافى – والقلى البغض والكراهية والأعراض .

(٩) ينع الثمر وأينع أدرك وطاب ومنه قول الحجاج بن يوسف من خطبة له : أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها : واستحصفت استحكمت .

كم ركضنا إلى المسرة واللهو ... برغم الهموم والبرحاء (١)

واغتبقنا الشراب حتى اصطبحنا ... لم نشعشع صراحه بالماء (٢)

لم أطع فيك واشياً يزرع الحقد ... ويجني ثماره في الخفاء

ضمنا عاطفُ المودة دهراً ... وافترقنا على القلى والجفاء

فلك اليوم في المحافل ذمي ... ولماضيك عُنفوانُ الثناء

لستُ أبكي على فراقك ماعشت ... فان البكا على الأوفياء

لن ترى البين فاجعي أبد الدهر ... فما كل خلة بسواء (٣)

كان شأني الحفاظُ والرعيُ فالآ ... ن أرى الرعيَ أعظم الأرزاء (٤)

فيك أبصرتُ كيف يكدر صفوي ... بصنوف الأكدار والأقذاء

كنت أرجوك للزمان فأنت الـ ... ـيوم دائي في البعد منك شفائي

ربَّ قربٍ أفضى إليَّ بضرّا ... ءَ وبعدٍ أفضى إلى السرّاء

طبتُ نفساً عن ذكركم وشفا السلـ ... ـوانُ قلبي من لاعج العرواء (٥)

كنتَ بالذكر بين عيني وقلبي ... فجررنا عليك ذيلَ العفاء

قد كبا بيننا الوداد فلا قا ... م وغص الهوى بماء الهجاء (٦)

خلت جهلا أنَّ الفؤاد هواءٌ ... ليس يصميه كثرة الأيذاء (٧)

---

(١) ركضت الدابة جرت وعدت والبرحاء الشدة .

(٢) اغتبق الخمر شربها مساء واصطبحها شربها صباحاً وشعشع مزج والصراح الخالصة بغير مزج .

(٣) الخلة الخليل والصاحب قال :

ألا خبرا خلتي راشدا ... قديماً وصنوى إذا ما اتصل

بأن الدقيق يهيج الجليل ... وأن العزيز إذا ساء ذل

(٤) الرعى مصدر رعى يرعى ورعى الذمام أى حفظه ولم يضعه .

(٥) اللاعج المحرق وعرواء من عرواء الحمى وهى رعدتها عند أول مسها .

(٦) كبا وقع كما يقع الجواد وغص الشارب بالماء إذا وقف فى حلقه لا يكاد يسيغه .

(٧) أصماه قتله .

لا أرتنى الأيام وجهك ماعشتُ ... ولا قربتك بعـد التنـائى[1]

وتنائى الدارين خيرٌ وأحـرى ... من تدانيهمـا على البغضـاء

قد مضينا كما مضيت وما دمت ... ودمنا فما لنـا من إخاء

لن ترانى بالباب بابك استغز ... ر فيضَ الدجنّة الوطفاء[2]

أقرع السنّ نادماً وأذمّ الدّ ... هر ذمّاً ولات حين عزاء

علّ ماء الشؤون يطفىء ناراً ... قد أذابت لفائف الأحشاء[3]

واقفاً أندب اعتدال زمان ... طال فيه بين الكرام ثوائى[4]

بين أهل اللّيان والحلق السّكب ... الشآبيب والحجا والذكاء[5]

حيث عزّ الوقارُ والجانبُ السهلُ ... وذلت طيرورَةُ الضرساء[6]

ياخليلى قد صرتُ جلداً على الهجر ... متين العرى وسيعَ الفناء[7]

---

(١) التنائى البعد .

(٢) فاض السيل يفيض كثر وسال والدجنة السحابة الممطرة والوطفاء — الوطف فى الأصل طول الشعر واسترخاؤه وسحابة وطفاء من المجاز أى لها هيدب دان مسف . قال أبو تمام :

« وانحل خيط المزنة الوطفاء » .

(٣) لفائف جمع لفافة وهى الشحمة تلتف على القلب أو غيره أى لن ترانى أجزع لفراقك واقف ببابك أبكى وأقرع سنى نادماً وأذم الدهر بعدك وقد تداعت حصون الصبر لعل ما أسكبه من الدمع يخفف ما بى من الحزن والندم ويطفىء ناراً أذابت شحم الكلى والأحشاء .

(٤) الثواء الاقامة وزمان معتدل أى طيب أى ولن ترانى واقفاً ببابك أندب زماناً طيباً كان لنا قضيته بين الكرام — والمراد التبكم .

(٥) بين أهل الليان — الليان اللين أى بين قوم ليّنى الجانب لا خشونة فيهم — الشآبيب جمع شؤبوب وهو فى الأصل الدفعة من المطر — وخلق سكب الشآبيب أى سهل الشريعة منسجم رقيق الحواشى — والحجا العقل .

(٦) الطيرورة الخفة والطيش — والضراس بكسر الضاد الغظاظة والجفاء والخشونة وكل هذا تهكم .

(٧) الجلد الصبور الخمول ورجل متين العرى أى حمول للنائبات مطيق للخطوب — الفناء الساحة أى يتلقى الأمر برحب صدره .

ولئن قدّر الزمانُ اجتماعا فبكرهى يكون لا برضائى
بأبى أنت . أنت أوّلُ إلفٍ ردّنى من بلابلى للعراء
كنتُ لا أملك الدموع فقد صر تُ ألاقى النوى بالاستهزاء (١)
حبّذا أنت غير أنك تبغى أن تدانى أهل السنى والسناء
تلك أحلام نائم وأحاديثٌ لمستمسكٍ بحبل الهباء(٢)
وغبيٌّ الأنام من ظن أن الز رعَ يزكو فى التربة المظماء(٣)
كلّ ماضيك قد وسعت بحملى غير ماجئت ليلة الأربعاء
قضى الأمرُ بيننا فسلامٌ وسقى الله عهدَ ذاك الإخاء

---

(١) لا أملك الدموع أى لا أستطيع حبسها من الجزع فقد صرت الآن ألاقى الفراق بالاستهزاء .

(٢) الضوء الداخل من الكوة أى النافذة يرى فيها الهباء شبه حبل — وقيل هو خيط العنكبوت والهباء هو دقاق التراب الساطع فى الجو كالدخان وما ينبث فى ضوء الشمس .

(٣) زكا النبت نما وأثمر والمظماء الشديدة العطش — والزرع لا يثمر فى الأرض الظامئة .

الذكرى

تقبس النارَ وإن طال القدمْ ... من ينابيع الزمان المنصرم (١)
كم لنا من ليلةٍ مطوية ... نشرتها فكأنّا في حلم (٢)
ربما عاد بها اليومُ وفى ... وجهه الطلق من الأمس غمم (٣)
ربما اهتزّ بها ذاوى المنى ... ولقد توقظ شيطانَ النّدم (٤)
ربَّ صوتٍ نبهت نائمه ... يسمع السامعُ منه كالنغم (٥)
بذل الماضى لها طاعته ... وابتنت داراً لها بين الرمم (٦)

---

(١) قبس النار يقبسها من باب ضرب أخذها من معظمها والمنصرم الماضى — والينابيع جمع ينبوع العين التى يخرج منها الماء .

(٢) النشر ضد الطى ونشر الميت أحياه . قال الشريف :

« وليس لما يطوى الجديدان من نشر » — الجديدان الليل والنهار .

(٣) الغم سيل شعر الرأس حتى تضيق الجبهة والقفا والطلق البشوش المشرق والمعنى ربما سودت الذكرى المؤلمة وجه اليوم المتهلل .

(٤) اهتز النبات أى تحرك وطال والذاوى الذابل — والمعنى أن الذكرى قد تحيى الأمل على أنها أحياناً قد تورث المرء الندم .

(٥) نبهت أى أيقظت وقد مر .

(٦) أى أن الزمان الماضى يطيع الذكرى فتحيى منه ما مات وفات — والذكرى لا عمل لها لا بالحاضر ولا بالمستقبل فكأن دارها مبنية بين رمم الليالى الماضية وعظام الحوادث البالية .

مناجاة حسناء

لا أنسَ منظرها وقد طلعتْ للعين بين خمائل الورد

*

والماء يرقصه تدفقه
والبدر أشحبه تأرّقه
والليل طفلٌ شاب مفرقه (١)
والغصن ميّادٌ وقد عبقت حللُ النسيم بنفحة الرند

العين تناجيها

هل تعرف الحسناءُ واعجبي
لشحوب لون الورد من سبب
وذبول جفن النرجس العجب
وصدودها عنّي وقد علمت أنى ليطرفني قذى الصدّ (٢)

* * *

(١) مفرق الرأس مثال مسجد حيث يفرق فيه الشعر والمراد منه مقمز .
(٢) قذيت العين قذى من باب تعب صار فيها الوسخ التراب وغيره .

القلب يناجيها

لون الربيع بوجنة الزهر[1]

والرَّوض مشرق صفحة البشر

وبحبّى يا أنفس الذخر[2]

برد الشتاء فهل ترى سمعت عصفَ الهوى وتهزّم الوجد[3]

---

(١) الوجنة من الإنسان ما ارتفع من لحم خده .

(٢) حبة القلب سوداؤه والصميم منه .

(٣) عصفت الريح عصفا اشتدت وتهزم الرعد صوته — لما قال أن فى حبة قلبه برد الشتاء جعل للهوى عصفا كعصف الريح وللوجد تهزما كتهزم الرعد .

قبر الشعر

ليت ديوانى يكون له ... من بديع الزهر تيجان
فكأنّ الشعرَ فى جدثٍ ... فوقه وردٌ وريحان (١)
يا لها من حفرة عجب ... كلُّ ما تطويه أشجان (٢)
كل بيتٍ فى قرارته ... جثةٌ خرساء مرنان (٣)
خارجاً من قلب قائله ... مثل ما يزفر بركان

---

(١) الجدث القبر – والقبر يوضع عليه الورد وغيره من الأزهار كما هو معلوم .

(٢) الحفرة ما يحفر للميت ليدفن فيه – أى أن هذا القبر ليس فيه عظام ولا رمم وإنما كل ما فيه أشجان وأنفاس – وتطوى أى تغيب .

(٣) والقرارة هى الحفرة والجثة الجسم الميت والخرساء التى لا صوت لها والمرنان التى لها صوت أى أن كل بيت من الشعر كأنه جثة وهو وإن يكن صامتاً إلا أنه ناطق المعنى .

عتاب

ذهب الوفاءُ فما أحسّ وفاء ... وأرى الحفاظ تكلفاً ورياءَ
الذنب لى أنى وثقتُ وأننى ... أصفى الوداد وأتبع الغلواء
أحبابىَ الأدنين مهلاً واعلموا ... أن الوشـاةَ تفرّق القربـاء
إلا يكن عطف فردوا ودنا ... ردا يكون على المصاب عزاء
إلاّ يكن عطفٌ فربَّ مقالة ... تسلى المشوقَ وتكشف الغمّاء(١)
إلاّ يكن عطفٌ فلا تحقر جوًى ... بين الضلوع يمزق الأحشاء
هب لى وحسبى منك ان تلك فرقةٌ ... لفظاً يخفف فى النوى البرحاء(٢)
فإذا ذكرتُ لياليأ سلفت لنا ... حنّ الفؤاد ونفّس الصعداء
دعنى أقول إذا النوى عصفت بنا ... وأجدّ لى ذكرُ الهوى أهواء(٣)
ما كان أسلسَ عهده وأرقّه ... ولّى وأنجح بالثنـا الشعراء
لا تبخلوا بالبشر وهو سجيّةٌ ... فيكم كما حبس السحابُ الماء
لا يُحسن التعبيس أبلجُ واضحٌ ... ضحك الجمال بوجهه وأضاء(٤)
قد كنتُ آمل منك أن سيكون لى ... قلبٌ يشاطرنى الوفاءَ سواء
فإذا بكم كالشمس يأبى نورها ... أبد الزمان تلبّثا وبقاء(٥)

(١) تكشف الغماء أى تخلى من الهم والغم .
(٢) النوى الفراق والبرحاء الشدة .
(٣) عصفت بهم النوى فرقتهم . قال عدى :
ثم أضحوا عصف الدهـر بهم ... وكذاك الدهـر حالا بعد حال
وأجد أى جدد قال :
أجـد لنا طيب المكان وحسنـه ... منى فتمنينـا فكنت الأمانيـا
(٤) المعنى أن الجميل الذى يضحك الحسن فى وجهه لا يحسن التعبيس — ومهما قطب من وجهه فان الحسن ضاحك فيه والأبلج المشرق الوجه . قال :
أبلج بـين حاجبيـه نـوره ... إذا تغـدى رفعت ستـوره
(٥) تلبث أى أقام .

مناجاة ملّاح

يا قرّة العينين يا سكنى ... بلّلْ غليلَ الموجع الضمن (١)
بيني وبينك زاخرٌ هزجٌ ... تمشى به الأجبال فى قرن (٢)
لو شئتَ ادنتنا وإن بعدت ... طرقُ الفراق طوائرُ السفن
تجوى وقد لزّت بما ركبت ... فكأنها رأسٌ على بدن (٣)
لا تخش أشجانى إذا اعتلجت ... أو لستَ تركب هائل الشجن (٤)
القلب يمٌّ لا قرار له ... جمّ العواصف مزبد القنن (٥)
لكنّ فى أغواره درراً ... ولآلئاً أبقى منَ الزمن (٦)

---

(١) ضمن ضمناً فهو ضمن مثل زمن زمناً فهو زمن وزناً ومعنى .

(٢) الهزج الذى له صوت . قال عنترة :

وخلا الذباب بها فليس ببارح ... هزجاً كفعل الشارب المترنم

والمراد هنا أن البحر له صوت من تدافع الأمواج — والأجبال جمع جبل وفى قرن — فالقرن الجبل يجمع بين البعيرين والمراد أن هذه الأمواج تشبه الجبال الماشية لعظمها .

(٣) لزت أى لصقت أى أن السفينة تجرى على الماء وهى لاصقة به فكأنها رأس على بدن .

(٤) اعتلجت التطمت كالأمواج أى لا تخش أشجانى إذا ثارت فانك تركب البحر وهو مخوف الشجن .

(٥) القنة رأس الطود والمعنى أن القلب كالبحر بعيد الغور كثير العواصف مزبد رؤوس الأمواج التى تشبه الأطواد .

(٦) الأغوار جمع غور وهو العمق .

السُّلُوّ

أبليت فيك العمرَ وهو جديدُ ... وعرفت فيك الصبر كيف يبيدُ
وغدوتُ أجلك فى الحياة محسداً ... تغلى علىّ ضغائنٌ وحقود
وتركتنى مثلاً شروداً فى الهوى ... يُومى إلى الأصبعُ الممدود (١)
لى كلّ يوم منك موقفُ ذلة ... صعبٌ على الطبع الحمىّ شديدُ (٢)
وأراك تلقانى ووجهك عابس ... وبناظريك بوارقٌ ورعود
مهلاً حبيبى إنّ فىَّ لعزّةً ... أبداً علىَّ لواؤها معقود
لا يخدعنّك ما ترى من حبنا ... فكأنه مع يومه ملحود (٣)
ان الهوى كالنار يخمد جمره ... والحسن ليس له كذاك خلود
ولقد تكون غداً وما فى قربكم ... ريّ ولا فى بعدكم تصريد (٤)
ولسوف يطوى اليأسُ صفحةَ ذكركم ... ويصدّ نثرٌ عنكمُ وقصيد
ما أنت أول من سلوتُ وردّنى ... عن حبه شممٌ بنا محمود

---

(١) الشرود السائر . قال :

خذها شروداً فى البلاد مقيمة ... سيرا لذى سمر وزاد رفاق

(٢) الحمى الذى يأنف من الذلة .

(٣) أى لا يغرك حبنا فربما ذهب ودفن مع يومه والملحود المقبور .

(٤) روى من الماء رياً بالفتح والاسم الرى بالكسر — وصرد السقى قطعه دون الرى وصردت الشارب عن الماء قطعت عليه شربه . قال النابغة :

وتسقى إذا ما شئت غير مصرد ... بصهباء فى حافاتها المسك كارع

إنّ الشتاء وإن تطاول عهده ... للأرض بعد ذهابه تجديد (١)

يمضى بأدمعه التى ما إنْ تنى ... تهمى ويحلو بعده التغريد (٢)

فابسط غضوناً فى جبينك إننى ... قد ذدت عنك القلب قبل تذود (٣)

---

(١) لأن الربيع يأتى بعد الشتاء فتلبس الرياض أفواف الخضرة بعد أن جففها الشتاء .

(٢) همى الدمع سال ويحلو بعده التغريد لأن الطيور والبلابل تنقطع عن الغناء فى الشتاء فإذ جاء الربيع انطلقت تغرد .

(٣) الغضون هى الجلد المتقبض فى الجبهة — ذاد الراعى الابل عن الماء منعها .

حالة
ثورة النفس فى سكونها

فؤادى من الآمال فى العيش مجدبُ ... وجوىَ مسودّ الحواشى مقطّب
تمر بىَ الأيام وهى كأنها ... صحائف بيضٌ للعيون تقلّب
كأن لم يخط الدهرُ فيهنّ أسطرا ... يبيت لها الانسان يطفو ويرسب(١)
شغلت بماضى العيش عن كل حاضرٍ ... كأنى أدركت الذى كنت أطلب
وما كلت الأيام من فرط عدوها ... ولا عطّل الافلاك خطبٌ عصبصب(٢)
وما فتئ المقدار يمضى قضاءه ... وما أنفكّ صرف الدهر يعطى ويسلب
وما زال ظهرُ الأرض فى جنباته ... مراحٌ لمن يبغى المراحَ وملعب(٣)
ولكنّ قلباً خالجته همومه ... ترى أى ملهى طيب ليس يجنب(٤)
وكيف يسرى عنه ملهى ومطرب ... وما يطيبه غير ما بات يندب(٥)
لقد كان للدنيا بنفسى حلاوةٌ ... فأضجرنى منها الأذى والتقلب

---

(١) طفا الجسم على الماء يطفو إذا عام على وجهه ورسب إذا انحدر إلى قاعه . قال :
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه ... سفلا وتطفو فوقه جيفه

(٢) العصبصب الشديد يقال يوم عصيب وعصبصب واعصوصب القوم . قال : « ومبرك الحامل حيث أعصوصبا » .

(٣) المرح الفرح وزناً ومعنى والمراح بفتح الميم المكان تمرح فيه .

(٤) خالجته همومه أى نازعته ويجنب يجتنب — والمعنى انى وإن كانت الأيام فى عينى كالصحائف البيض إلا أن الدهر على ذلك لا يزال يمضى قضاءه ويجرى بالسعد والنحس وما زال فى الأرض ملعب لمن شاء ذلك ولكن قلبى الذى استضافته الهموم لا يلهيه شىء .

(٥) يسرى بتشديد الراء أى يذهب عنه الهم ويطيبى بتشديد الطاء أى يستميل أى وكيف يذهب عنه الهم ملهى وليس يستميله ويستولى على هواه إلا ما يندبه من عيشه الماضى .

وقد كان يصبيني النسيمُ إذا هفا ... ويعجبني سجع الحمام ويطرب(١)

ويفتنني نوم الضياء عشيّةً ... على صفحة الغدران وهي تسبسب(٢)

فمالي ستى اللهُ الشبابَ وجهله ... أراني كأني من دمائي أشرب

ومالي كأني طلّلتني سحابة ... لها من مخوفات الأساود هيدب(٣)

وليل كأن الريح فيه نوائحٌ ... على أنجم قد غالها منه غيهب(٤)

تجاوبها من جانب اليمّ لجةٌ ... تزاءر فيها موجها المتوثّب

كأنّ شياطينَ الدجى في اهابه ... تغنّ على رمز الرياح وتغرب

لقيتُ به ذا جنةٍ وتدلّهٍ ... له مقلةٌ عبرى وقلب معذب(٥)

فقلت له ويلي عليك ولهفتي ... ترى أين يرميك السرى والتغرّب(٦)

ركبتَ الدجى والليل أخشن مركبٍ ... فهل لك عند الليل ويبك مطلب(٧)

فقال وفي عينيه لمعٌ مروع ... وفي شفتيه رجفة وتذبذب(٨)

ليهنَ تراب ضم حسنك أنه ... سيرويه منه عارض متصبب(٩)

سقاها وروّاني من المزن سمحة ... فإني في ملحودها سأغيّب(١٠)

---

(١) هفت الريح تحركت .

(٢) إذا زحف الليل وطلع القمر وأشرق ضياؤه على مترقرق الغدران رأيت ضياءه كأنه نائم على مائها وتسبسب الماء جرى وترقرق .

(٣) الأساود الحيات وهيدب السحاب ما تراه كأنه خيوط عند انصباب ودقه . قال :

دان مسف فويق الأرض هيدبه ... يكاد يدفعه من قام بالراح

(٤) الغيهب الظلمة الشديدة ومن قولهم أحسن من بياض الكوكب في سواد الغيهب .

(٥) الجنة الجنون ودلهه العشق حيره وذهب بفؤاده والعبرى الكثيرة الدموع .

(٦) السرى سير الليل .

(٧) ويبك أي ويلك .

(٨) التذبذب الاختلاج والحيرة وعدم الثبات .

(٩) المتصبب الممطر .

(١٠) المزن جمع مزنة بضم الميم فيهما السحب والسمحة الكثيرة الماء . قال أبو تمام :

ديمة سمحة القياد سكوب ... ستغيث بها الثرى المكروب

والملحود القبر وقد مر .

كفانى إذا ماضم صدرىَ صدرها تحيةُ سحب قلبها يتلهب[1]
أأنت معينى إن قضيتُ بدمعة يحدّرها عطف علينا ويسكب[2]
فقلت له مالى لدى الخطب عبرة تراق ولا قلب يرقّ ويحدب[3]
سكنت فما أدرى الفتى كيف يغتدى تجد به الأشجان طوراً وتلعب
ولكننى إن لم تعنك مدامعى سأستهول الموت الذى بت تخطب[4]
سأصرخ أمًّا هاجت الريح ضرخةً تقول لها الموتى ألا أين نهرب

---

(١) يتلهب لأن البرق يضىء فيها .
(٢) قضيت أى مت — العطف الرحمة .
(٣) يحدب أى يرق ويرحم .
(٤) استهول الأمر أى رأى فيه ما يهوله ويفزعه .

ليلة

أشيع أنى غرقت فجاءنى صديق قديم يبكى ويستفسر عن صحة الخبر .

زارنا واصلا على غير وعد وانثنى هاجراً على غير ذنب

من عذيرى من الذى يبكينى قبل يوم الردى بدمعٍ هتونِ
لعب ما أرقتَ من ذلك الدمع ودلّ أم أنت جدّ حزين
كم بكينا كما بكيت فلم تر ث ولم تكترث لدمعى السخين
لم تكن عبرتى أفيكة أفّا كٍ ولا وجه حبنا بظنين(١)
يا أخا الحسن والملاحة بالله ترفّق بجفنك المحزون
أزجر العينَ عن بكاها ففيما انـ ـهلّ منها وفاءُ دين العيون
حسنت ليلةُ الخميس وطابت فهى حسبى من الزمان الضّنين
صرّحت رغوة البعاد عن القر ب وباحت بودك المكنون
فوجدنا بك السرورَ كما يفر ح بالزاد ناظرُ المسكين
كم معزّ عنى ولو كان يدرى ما أفاد النعاةُ منّى لحيّنى(٢)
عاد نعىُ النعاة بالفرح الشا مل والوصل من خليلٍ أمين
أتراك الغداةَ ترجع للصد وتغضى عن لوعتى وحنينى

---

(١) أفيكة أفاك أى كذب كاذب والظنين المتهم .

(٢) هنى أى هنأ — والحين الموت — أى لو كان يدرى الذين يعزون عنى ما استفدت من تعيبهم إياى لهنأوا بدل التعزية .

ابقَ أنسى فليس يحلو لى العيش ... إذا لم تكن عليـــه قرينى
دع مؤاخاةَ معشرٍ وسعوا حـ ... ـك جهلاً وعدْ لهذا الفطين
إننى عائذٌ بعطفك فاخفض ... لى جناحاً من رحمةٍ يُؤوينى

عم مساءً ؟ لا بل تمهل قليلاً ... تعست ســاعةُ الفراق الطحون
لشجينـــا بمـــن يحيى ويمضى ... فارغ القلب لا يحس شجونى
زدتنى فتنةً وليس جميلاً ... منك هجـــرانُ واله مفتون
حاجةُ النفس كلها ومنى النفس ... جميعاً فى سحر هـــذى الجفون
أتـــرانى ألذُّ شيئـــاً إذا ما ... غبتَ عن ناظرى وقلبى الحزين
إنما يحسن المساءُ ويحـــــلو ... بلك فاقعد ــ أولا وهذى يمينى !
قد ظفرنا من اللقاء بحـــظٍّ ... فاقض حظى من الفراق الشطون
حسبى الله فى كفاية ما يعـــ ... ـتادنى منك وهو خـــير معين

هيهات بابل من نجد

هل من معين على نجوى ووسواس ... أو من سنيلٍ إلى تبريد أنفاسى
أكرّ طرفىَ فى الماضى فيبسم لى ... وأثنى وأمامى جدّ عبـاس
ليس الذى فات أياماً أعـددها ... لكنه العمرُ والهفى ويا ياسى
والدهر لا فلتاتُ السعد يرجعها ... ولا يجدّد ما يبلى من الناس
لو كان فى مقبلٍ من مدبرٍ عوضٌ ... لم أودع الذّم للأيام أطراسى(١)
قضى لىَ الدهر بلوى فى تصرّفه ... لأبرءَ منها وعافى غير ذى باس
قد كنت أمرح فى روضٍ مطارفه ... مطرزٌ طرفها بالورد والآس
أرضى مفضّضة ريّا مذهبةٌ ... وفى سمائى نجومٌ هنّ إينـاسى
إن شئت غنّتىَ الأطيار ساجعةً ... أو شئت كانت ثغور الورد أكواس
أو شئت فى ظل أغصان مهدّلة ... تحنو علىّ بألوانٍ وأجنـاس
ملأت عينىَ حسناً لا مخالسةً ... لكنْ مرامقة ملآى باحسـاسى
فالآن قد ذهب العيش الرقيق وما ... بُدّلت منه سوى جدب وإيباس
وأصبح الوردُ يخفى حر وجنته ... عن العيون ويبدى شوكه القاسى
عهدٌ تصرّم لم أظفر بمأربتى ... منه ولا أورقت أعوادُ أغراسى
ما للحـمام يغنّينى على فنٍ ... غض الثنى منير النور ميّـاس
والروض كيف اكتسى بالوشى محتفلا ... وراح فيـه وقلبى واجدٌ آس

---

(١) أطراس جمع طرس – الورقة التى يكتب عليها – والمقبل الآتى والمدبر الذاهب .

دنيا تغيّض من بشرى وتبسم لى ... كالعضب موتلقاً يهوى إلى الراس[1]

هيهاتَ ما تحفل الدنيا بملتهفٍ ... ولا تبالى بأسعادٍ وإنحاس

لن يخلع الروض أبرادَ الحيا جزعاً ... ويكتسى دارسَ الأفواف للناس

أو يعبس النوْر من شجوٍ يهضمنى ... أو يخرس الطيرَ بلبالى ووسواسى

إن يسلب الدهرُ ما أولاه من هبة ... فشيمة الدهر أعراء الفتى الكاسى

أو يشعب الصبرُ أكباداً فيذهلها ... عن ذكرنا ففؤادى ليس بالناسى

وكيف أنساهمُ والقلب يتبعهم ... على جديد لُبانات وأدراس

---

(١) غاض الماء ذهب فى الأرض والعضب السيف والموتلق المشرق .

استقبال صديق

كيف به والجفاءُ يبعد به ... وفرقةُ الصب منتهى أربهْ
تالله ما أن بني يباعدنا ... بالغدر فى جده وفى لعبه
أن يصغ للشوق بعد ذاك فقد ... أسرف فى كبره وفى غضبه
وكيف يرجو البقاء من رجلٍ ... لم يبق من وصلةٍ إلى سببه
إن مرّ لم يكترث لخطرته ... أو قال لم يلتفت إلى خطبه
قد قلّ من يصدق الوداد فما ... أحسّ من ودهم سوى كذبه
أعطشنى الناسُ بعد أن (رويوا) ... من مستهلّ الوفاء منسكبه (١)
جفّوا كما جفّت الحياةُ فما ... أعرف من عودهم سوى حطبه
مالى وما للزمان واعجبى ... وأعجب أن يكفّ عن عجبه
غاض غديرُ الوفاء فى زمنٍ ... فاض بما لا يجفّ من نوبه
ما جوُّ هذا الزمان من أربى ... رجالُ هذا الزمان أخلق به
أصحب من لا أودّ صحبته ... ومن أذوق البعادَ فى قربه
لم يبق عندى من الرجاء سوى ال ... قنوط من برقه ومن صببه
وزفرةٍ تحطم الضلوعُ لها ... على زمان عريت من قشبه (٢)
وحسرةٍ أثرَ غلمةٍ ذهبوا ... عنّى فلجّ الزمانُ فى حربه (٣)

---

(١) استهلت السماء بالمطر أى أمطرت ولها صوت .
(٢) تحطم أى تكسر والقشب الجديد الزاهى .
(٣) لج أى تمادى .

يسرع دمعى إذا ذكرتهمُ أسراع فيض الغمام فى صببه
أما فتىً صادق الهوى كأخى (شكرى) يردّ الزمان عن نوبه(١)
أوثقُ من تصطفى وأكرم من تأخـذ من عقله ومن أدبه
خـلائقٌ سهـلة موطّأة كالبارد العذب غب منسكبه
كم مجلسٍ والوداد ثالثنـا والراحُ تجلى كالحقّ من حجبه(٢)
ذاك قريبى وليس من رحمى وهو نسيبى ولستُ من نسبـه
أن ضرب الدهر بيننا فلقـد لُفّ كما كان قبل شملىَ به

(١) شكرى هو صديقنا الشاعر الجليل عبد الرحمن أفندى شكرى وهوالذى كتبنا هذه القصيدة نستقبله بها عند عودته من سفر طال عمره .

(٢) أى كم مجلس لنا لم يكن لنا ثالث فيه غير الوداد — والراح الخمر تجلى لنا كما يجلى الحق من حجبه المسدلة عليه .

حلم اليقظة

الحياة حلم

وسم الربيعُ الأرض فهى كأختها ... قبل العيون وأختها كالتوأم (١)
بأبى جـلالٌ راعنى فنشـدته ... وأصبت معنًى فيه بخطئه العمى
فطفقت أرمق وردةً فتـانةً ... ضحك الندى فى ثغرها المتكمم
فرأيت أنى ناظـرٌ حسـانة ... يقظى اللحـاظ جليـلة المتوسم
رفعت يداً فاذا الغصون كواعبٌ ... يرشقننى بنواظر المتهكم (٢)
وإذا بساط الروض لجٌّ زاخر ... لله روعة موجـه المتحطّم
وكأنمـا الورق النضير حمائم ... كخواطر طافت برأس مهوّم
ووجدت صوتاً مثل أنفاس الصبا ... عذب الورود كأنه من مغرم
صوت من البحر العميق كأنه ... همس النسيم أو الحيا المترنم
عجبا لمعنى فى مطاوى لفظه ... يذر الحلىَّ رهين شـجو مضرم
« يا من تأوبه الهموم حيـاته ... والهول يغشى كلَّ كهف مظلم
قد طال ماقطّبت وجهك للدّنا ... حتى نسيت بشـاشـة المتبسم
لاتحسب الزمن النضير براجـع ... إن السعادة فذّةٌ لم تتئم (٣)
هل كنت دهرك غير طيف حائر ... أوكان عيشك غير حلم مبهم

---

(١) أى كأن الأرض من حسنها أخت السماء والتوأمان الأخوان يولدان معاً .
(٢) الكواعب جمع كاعب وهى المرأة البارزة الثديين .
(٣) الفذ الواحد ولم تتئم أى ليس لها ثان كالتوأم .

ولهذه الآن التى تزهى بها من طيبها حلمٌ بحـلم أدوم

ولّى الظلام وأجفلت أحلامه فرجعت أرمق غضة المتنسم[1]

فاذا مكان الطل دودٌ فاتك يا للحيـاة من الأذى المتحتم

(٢) أى رجعت أرمق الوردة التى كنت أنظر إليها قبل أن أرى هذا الحلم .

الكِتمانُ

يا وردة عرفها جـزيلُ ... وبثُّ عشاقهـا طويل
يستوقد الصدرَ مجتـلاها ... والنفس يهتاجها الجميـل
آهٍ عـلى حسنهـا وآه ... لو ينفع الواجدَ الغليل
وكيف يجدى الاعجابُ صبّا ... واليأس فى قلبه دخيل
لكنّ حـرام على عيـون ... تشهد حسناً ولا تميـل
ألم يخبّـرك ياحبيبى ... تهضّم الوجـه والنحول
بأننى عاشـقٌ كتـوم ... يبطن غـير الذى يقول
أم تبتغى أن يضيق ذرعى ... فيشتكى قلبىَ الحمـول
وليس بدعا إن استجار الـ ... ـطعين واستوصف العليل
لكنّ فى مقـولى إباءٌ ... والناس أخلاقهم شكول(١)
لم يخلق الله (فى) لغير الزِ ... ـير فليفرح العـذول (٢)

(١) المقول هو اللسان .
(٢) الفو هو الفم .

النظر

غضّ عنى بالله طرفك أنى ... ليس لى طاقة بسحر فتوره
كيف لى أن أقص أمرى إذا أنـ ... ـت عقلت اللسان عن تحريره
والقوافى إلى الشرود سريعا ... تٌ وللنظم نافرٌ من مثيره
وقليلٌ أن أكبرتك القوافى ... يا جميلا بحورها من مطيره
أنّ للبدر دولةً يخضع البحر ... ويعنو لحكمها فى أموره
ما عسى طاقة الجليد على الشمـ ... ـس إذا مسه اللظى بسعيره

إلى صديق

(وهي أبيات قافيتها غريبه)

لاتزر إن قضيتُ قبرى ولاتبك ... عليه كسائر الأصحاب
خلِّ عنك الوفاءَ واسمع لداعى الـ ... ـغدر فينا فلات حين وفاء
وقبيحٌ أن تسحب الذيل مختا ... لاً وتمشى على رقاب الصحاب
مزعجا بالسلام روحَ كريم ... أنت غيبته بجوف العراء
قد قضت منكم الليالى هوانا ... ونفضنا أكفنا من غرامك
فدع السحب تسحب الذيلَ فينا ... وتروّى ثرايَ وامض لشانك

الخمر والحب

لا تذرها فانني غير صـــاح ... رب راح شربت من غير راحِ
كم صريعٍ لم يرشف الكأس يوما ... صرعته كأس الهوى السفاح
فأجزها عن مغـــرم مستهام ... تبلت قلبـــه عيونُ الملاح
ما صدفنا عن ودها عـــلم الله ... ولسنا لهجـــرها فى ارتيـــاح
غير أنّى لثمت ثغرَ مليـــح ... أين منـــه مراشفُ الأقداح
ذا كذوب النّضار والتبر لكن ... ذاك أروى لغلّـــة الملتـــاح

وصيّة

كفّنونى إن متُّ فى ورق الزهر ... ورشّوا ثراىَ بالصهباء
واذكرونى والوجه منطلق البشر ... كأنى ما زلت فى الأحياء
وإذا ما أديرت الكأس يوماً ... فأشربوا لى من صرف مافى الأناء
إنما يهرب الرجال من الذكر ... لما قد يثير فى الأحشاء

الخمر والحبّ

طاف بالراح علينا ... واضحٌ سبط القوام
فسقانا من سلاف ... وسقانا من غرام
وتمشّى الحب قبل الـ ... ـخمر مشياً فى العظام
فشفى منا سَقاما ... ورمانا بسقام

إلى عاتب

ما أضعت الهوى ولا خنتك الغيبَ ... وحاشا لمثلنا أن يخونا
حاربتني الأقدار فاعتب عليها ... ودهتني وما وجدت معيناً
ما حمدنا ما كان قبل ذميما ... أو رضينا ما كان لا يرضينا
ليس برحُ الهموم ما رحت تبديه ... ولكن ما بات فيك دفينا

الإسكندرية

لي نفس موصولة بك ما عشتُ ... وكالنجم أنت منّيَ بعدا
هل تعيد الأيام فيك ليالي ... وعيشاً قضيته كان رغداً
بين نور الربيع والنرجس الغضّ ... وبحرٍ يروع جزراً ومدّا
ومدامٍ لم نقذها بمزاج ... ونديم يسبيك لعباً وجداً
ما حننّا إلاّ إليها ولا ها ... ج سواها لنا ادّكاراً ووجداً
أن تعد أغتفر لدهريَ ما فا ... ت وإلا فقد ترى الحرّ جلداً

حلم اليقظة

الحروب

سيل همومى قد طغى عبابا
وجُنّ حتى ملأ الشعابا
ياليتنى لو تدفع المصابا
ليت وتحلى الصبرَ المذابا
أدرى لداء منهكى طبابا
يبلّد الإحساس والألبابا
يفلّ حدّ الخطب إن أصابا
ويذهب الأشجان والأوصابا

° ° °

إنى سمعت فى الدجى اصطخابا
كأن فى إهابه ذئابا
سيمتْ أذى فطلبت وثابا
مستهولا ينتزع الصوابا
يهتك من فؤادك الحجابا
مثل الصدى قد عمر الخرابا
كان حولى رمما أسلابا
تفصل فى مسامعى خطابا

وخلت انى ناظرٌ شبـــابا
تخالهم على الثرى ثيـــابا
بيضاً وطوراً تجتلى ضبـــابا
منهم يغطّى الأفق والرحابا
ويحجب الأطواد والسحابا
تنكره إذا بدا أو غابـــا
فقمت أسعى نحوهم مرتابا
منجفـــلا ومرة وثّابـــا
يا ليتنى لم أبتـــغ اقـــترابا
وليتنى جانبتهم جنـــــابا
أى قضاء قد مضى غلاّبا
وأى خطب قد رمى فصـــابا
وبزّ هذى الأنفس الصعابا
أرواحهـــــا وأولغ الذئابا
فى دمعها ووسّد الترابا
خـــدوَدها النواضرَ الرّطابا
وبذر الرؤوس والرقابا
ونثل الكبود والعيـــابا[1]
وفرّق الخلاّن والأحبـــابا
وجمع الوحوش والعقابا
يا ويحَ أيدٍ جنت المصابا

(١) العرب تكنى عن الصدور والقلوب بالعياب .

وهاجت السيوف والحرابا
وتخذت من الردى أسبابا
يا ممطراً على الورى عذابا
وراعيا جماجماً صلابا
ومجريا دماءها عبابا
وظالما لا يتقي حسابا
أجلك يبكى الحضرُ الغيابا
وتألف الوجوه الاكتئابا
وتركب الأراملُ الصعابا
وتحمل الكواهلُ الهضابا
ليتَ الذى سنّ لنا القرضابا
يسمع لو يستطيع ذا الخطابا
من ذاهبٍ لا يرتجى ايابا
وسائل لا يحفل الجوابا
يلبس من دمائه جلبابا
متخذا جراحه أكوابا
يكرهه ودمَه شرابا
« يا ملكا أجبتُ إذ أهابا
خال الدّماء ذهباً مذابا
فساقنا إلى الردى أغصابا
أجرْ وليدى واحتقب ثوابا
وكن معيناً لأب قد شابا

يبكى ويستبكى لىَ السحابـا
وزوجةٍ ألبستَها المصابـا
تسفى على واضحها الترابـا
لا تجلعن ظلم العبـاد دابـا
بل أنت لا تسمع لى خطابـا
هل يرحم الضعيف والمصابـا
ملك يرى الرحمة فيه عابـا
أدعو الذى إن أدعه أجابا »
ثم ارتمى وافترش الصحابـا

مناجاة الهاجر

غذائيَ الحبُّ يا من فيه حرمانُ ... منّى له ابدا ما عشتُ نشدان (١)

وهل غذائيَ إلا أن أراك وأن ... يمر بالسمع لفظٌ منك فتان

وما أقلّ الذى أبغى وأيسره ... لو كنتَ تنصف إن الحق عُريان

ذنبي إليك هوى ينفك يعلنه ... شعرى وإحسانكم صدٌّ وحرمان

يا ليت أن ذنوبَ الناس قاطبةً ... شعرٌ عقيف وأشواق وتحنـــان

عجبت ممن يراه الحب كيف غدا ... يقلى الهوى والهوى والحسن أخدان (٢)

لأى أمرٍ طويتَ الكشح عن رجل ... عفّ الأديم لفضل فيه برهان (٣)

أخفتَ أن تأخذ العينان منقصةً ... فى حسنك الغض والأنسان إنسان

فقلتَ أعشى ما قيه بأدمعها ... حتى أبيت وكل النقص رجحان

كذلك الشمسُ يعشى طرفها أبداً ... والكون جهمٌ ووجه الجو غيمان (٤)

كلا لعمرى لقد جلّت محاسنه ... عن أن يكون بها عيبٌ ونقصان

أرقَ من دمعة التوديع طلعته ... وقد تحمّل للتوديع خلصان (٥)

وما ابتســـامة ولهانين لفّهما ... بعد النوى وانصداع الشمل لقيان (٦)

---

(١) نشدان من نشد الشيء إذا طلبه .

(٢) يراه أى يراه أى خلقه أى كيف يكره الحب والحب هو خالق حسنه يشير إلى الخرافات القديمة .

(٣) طوى الكشح أى أعرض وصد وعف الأديم أى عقيف .

(٤) غيمان أى متلبد بالغيوم وهى السحب .

(٥) الخلصان الأحباب والخلان .

(٦) لقيان أى لقاء وانصداع الشمل أى الفراق .

يوماً بأعذبَ من حسن تسربله ... عليه منه على الأيام ريعان[1]

عبدتُ فيه آلها كنتُ أكفره ... دهراً فأعقب نكرانيه عرفان[2]

هذا نبيّ ولم يُبعث وليس له ... إلا الجمالَ وآيَ الحسن قرآن

آمنت بالعين عن طوعٍ وفي سعة ... وآمنت من نفوس الناس آذان

لو أنه كان في وسعي ومقدرتي ... أن ترسم اللحظَ ألفاظٌ لها شان

وأن أصوّر في القرطاس فتنته ... لقالت النـاسُ هذا منك بهتان

سحرٌ لعمرك لم يمنحه من أحدٍ ... إلا الملائكُ لا أنسٌ ولا جان

وشاعرٌ لبقٌ التصوير يحكمه ... أحكامه وخيالُ الفحل معوان

يكسوه من شعره ثوباً يخلده ... وليس يبلى جديدَ الشعر أزمان

فما يعطل شيءٌ من محاسنه ... الاّ غدا وهو بالأشعار حليان[3]

وربّ مسودّ سطرٍ أنت تحقره ... تألّق الحسنُ فيه فهو ضحيان[4]

وعاش فيه جمالٌ طاح لابسه ... وماس فيه وربُّ الحسن ذبلان

والشعر حصنٌ عزيز ليس تقهره ... هذى الليالي وغيرُ الشعر وهنان[5]

كم قلت لمّا رأيت الدهر أيديَه ... مطاعناتٍ وللأيام تطعان

مقوّضاتٍ حصوناً وهي من ضرعٍ ... لها على ذلة التقويض إذعان

يذوى تعاقبها الغصنَ الرطيب ولا ... يبقى على الغصن أنّ الغصن فينان

وجائعَ اليمّ لا ينفكّ من سغبٍ ... له على الأرض عدوان وطغيان[6]

كلاهما أبداً ربحٌ لصاحبه ... لا غنمَ فيه وبعضُ الربح خسران

---

(١) تسربله أي لبسه .
(٢) المقصود هنا آله الحب .
(٣) حليان أي حال متزين .
(٤) ضحيان أي منير مشرق .
(٥) الوهنان الضعيف .
(٦) اليم البحر والسغب الجوع .

يا ليت شعرى ألا شيءٌ نصون به ... هذا الجمالَ فلايعروه نقصان

أما يثقّل هذا الدهرُ أرجله ... أليس فى الدهر إرواد وإمعان

وكيف تصرف عنه لحظَ طالبه ... أنّى — ونائمُ هذا الدهر يقظان

وهل تغالب هوج الريح نرجسةٌ ... ما إنْ لها غيرَ فرط الحسن إمكان

إلاّ تكن هذه الأشعار خالدةً ... فلن يدومَ لهذا الحسن ريعان

يبلى مع الحسن عشقُ العاشقيه ولا ... يبلى جمالُ فتًى بالشعر يزدان

لا بدّ من هزمٍ للمرء غير فتًى ... يصونه الشعرُ إن الشعرَ صوّان

وإنما الناس كالأمواج بعضهمُ ... فى بعضهم غائبٌ والعيش ميدان

إذا الفتى ائتلفت ألوانُ رونقه ... وراح وهْو بماء الحسن ريّان

عدتْ على حسنه الأيام فاختلفت ... بعد التناسب أصباغٌ وألوان

ما يسمن الدهرُ إنساناً ليشبعه ... لكنْ ليعجفه والدهرُ سغبان

وكلّ ما تزرع الأيامُ تحصده ... وللجمال كما للزّرع إبّـــان

أظافر الذئب أحرى أن يقلّمها ... لو كان فى الدهر إنصافٌ وعرفان

لكنّ شعرى برغم الدهر يكلؤه ... وهل لذى الحسن غير الشعر أكنان

ما ضرّ ذا الحسن أنّ الحسن عاريةٌ ... تبقى له الرّوحُ إمّا رثّ جثمان

كالورد إمّا ذوت يوماً غلائله ... ذكى فصار به عنهنّ غُنيان

* * *

أراه فى الزّهر مخضلاً وأسمعه ... فى هادل الطير هاجنّ أشجان

واجتلى نفسه فى الماء حفّ به ... على الجوانب ريحانٌ وحوذان

لكنّنى كسجينٍ مرهقٍ تعبٍ ... تسكّ مسمعه فى السجن ألحان

تضيئه الشمسُ من قضبانِ محبسه ... ودونَ أن يجتليها الدهرَ قضبان

يا ليت شعرى وهل فى ليت من فرجٍ ... من أزمِ ما أنا عانٍ منه أسوان

ماذا أراد بنا حتّى نأى ودنى ... طيفٌ يخادع طرفى وهو وسنان

إخال أنّى إذا استوحشت آنسنى ... على النوى منه أشباهٌ وأقران

يبدى ودادى ويحمى العينَ رؤيته ... لو كان ينصف ساوى ذاك ميزان

عجبتُ من ماثل عنّا وإنّ لنا ... شعراً كما سجعت فى الروض مرنان

لكلّ روضٍ نضيرٍ طائرٌ غرد ... كذاك نحن حماماتٌ وبستان

أما يرى غايتى فى الشعر واحدةٌ ... وإن تباين أوزانٌ وأوزان

فما أحوك على الأيام قافيةٌ ... إلاّ .وفيها على حبّيه عنوان

أكسو قديمىَ أفواناً تجدده ... وبعضُ ما تكتسى الأشعارُ أكفان

كالشمس غاربةٌ طوراً وطالعة ... عوداً لبدء وما للشمس إيهان

مسبّحاً باسمه فى كل آونة ... كما يسبح باسم الله رهبان

كأنّ ذكريه آياتٌ أرتلها ... كما يُرتل إنجيلٌ وفرقان

لى من ملاحته وحىٌ يساعفنى ... إذا أعان على الأشعار شيطان

قليل ذكريه فى شعرى يزيّنه ... كأنما ذكره درّ ومرجان

أراك تجرحنى باللفظ تبعثه ... يا ليتنى جرحتنى منك أجفان

قتلتَ بعضى فأتمم ما بدأت به ... فالقتل إمّا استحال البرءُ إحسان

وكن كما أنت قاسٍ كيّساً فطناً ... فللجفاء كما للرفق أحيان

أذقتنى النارَ فى الدنيا فأحرِ بأن ... يذيقنى منك طعمَ الخلد رضوان (١)

آمنتُ بالحب فاجزِ المؤمنين كما ... يجزى على طاعة المخلوق ديّان

ضننتُ باسماك حتّى لا تدنسه ... أفواهُ ذى الناس إن الناس ديدان

من ذاكرهتَ فلم أنبذ مودته ... حتى كأن لم يكن ودّ وتحنان

---

(١) الخلد الجنة . قال :

ولو أنى حبيت الخلد فردا ... لما أحببت بالخلد انفرادا

أما ترانى إذا هاجرتَ من غضب ... يقتصّ منى لكم وجدٌ وأشجان
إنى أعيذك من ظلمى وأنت فتى ... يحميه أن يفعل الأسواءَ وجدان
لا تحسب البعد يسلينى فتهجرنى ... فليس فى البعد للمشغوف سلوان
هل ينفع الصبرُ ملتاحاً تدافعه ... عن الورود فيروى وهو غلاّن[1]
ما لذة القلب خلواً من دخيل هوًى ... ما الليل إن لم يكن بالصبح إيقان
هل تمرع الأرض لم تنسج مناسجَها ... فيها سوارٍ لها سحّ وتهتان
مالىْ بغير الهوى فى العيش من أرب ... ولا بقلبىَ أحقاد وأضغان
محا الهوى من فؤادى كلّ مقلية ... فاعجب لقلبٍ خلىّ وهو ملآن
كأنما ليس فى الدنيا سواه فتى ... أحبهُ وكأن الناس ما كانوا
أنسانىَ الحب ما قد كنت أحمله ... على الليالى فلى بالذكر نسيان
فعدت أطلب أن أحيا له أبدا ... وكان للموت منى الدهرَ نشدان
أحيا وأزهق آمالاً شقيتُ بها ... فالحال واحدةٌ والطعم ألوان

* * *

يا ليت لى والأمانى ان تكن خدعا ... لكنهن على الأشجان أعوان
غاراً على جبلٍ تجرى الرياحُ به ... حيرى يزافرها حيرانُ لهفان
والبحرُ مصطفق الأمواج تحسبه ... يَهيجه طربٌ مثلى وأشجان
إذا تلفتّ فى خضرائه اعتلجت ... آذيُّه فلسرّى منه إعلان
خلٌّ القصور لخالى الذرع يسكنها ... وخير ماسكن المعمودُ غيران
حسبى إذا استوحشت نفسى لبعدكُم ... بالبحر أنسٌ وبالأرواح جيران
لا كالرياح سميرٌ حين ثورتها ... إذ ما لأسرارها فى الصدر إجنان[2]

(١) الملتاح الظامىء والغلان العطش كذلك .
(٢) أجن الشىء أخفاه والأجنان الكتمان .

تفضى إليك بنجواها زمازمها ... نمّ الصباح بما يطويه أدجان
إذا الفتى كان ذا شجوٍ يميد به ... معذّباً بالمنى من معشر خانوا
فنعم مسكنه غارٌ له أبداً ... من السحاب قلاداتٌ وتيجان
ونعم أقرانه بحرٌ له زجلٌ ... وساقياتٌ لها سجعٌ وإرنان
وما أبالى وقد أصبحتُ مطّرحاً ... إذا خلت لى من الإنسان أوطان
ما بى إلى الناس أطرابٌ فأفقدهم ... إذا اعتزلت وهل للدّاء فقدان
بينى وبين الورى بونٌ فأحجز بأن ... يكون بينى وبين الناس وديان
إنّى شغلتُ بمعراضٍ أخى مللٍ ... فلست أدرى أفوقَ الأرض سكان
سيّان عندى إذا ما ازورّ عن نظرى ... وأظلم الجوُّ — إنسانٌ وعيران
وما علىّ وليس الناسُ من أربى ... إن قطّعت بيننا بيدٌ وغدران
هيهات آنسُ بالإنسان ثانيةً ... من يألفِ الكأس يألمْ وهو صدّيان
خلّ الرياحَ تناجينى وتعزف لى ... فلرّياح كما للناس ألحان
إنْ يستخفّ بما ألقى أخو عُنُفٍ ... لا رفق فيه فان البحر حنّان
تسليك منه وإن أشجتك روعته ... وقد تسرّى من الأشجان أشجان
والبحر للنفس مرآةٌ ترى صوراً ... منها بها ولعجم الموج تبيان
يا حبذا الغارُ والأرواحُ نائحةٌ ... والبحر مصطخب والليل طخيان
ومرحباً بهمومٍ لا ارتحالَ لها ... وجونِ ليلٍ له كالهم إيطان
وأنت بين أبابيلٍ مغـردة ... كأنهن على الأغصان قنوان[1]
حمائم فى نواحى الروض هادلة ... وأقحوانٌ على الحافات نعسان
ونرجس كاسف والعين ضاحكة ... يا حبذا نرجس لهفانُ جذلان
والماءُ كالفضة البيضاء سائلةً ... طوراً وطوراً تراه وهو عقيان

(١) أى كأنهن أى الطيور على الأغصان أثمار

بمعزل عن همومٍ أنت موقدها ... أرعى وأنت على الأيام غفلان

لك الرياض عليها الدهرَ أوشيةٌ ... خضر يضاحك فيها الوردَ ريحان

إن شئتَ حياك فيها النورُ مبتسما ... أو شئت ألهاك مسجاع ومرنان

أو شئتَ في ظل أغصان موسوسة ... تنأى وتدنو كما يختال نشوان

جريت في حلبة السرّاء منتصفاً ... من الزمان كمن ضرّته أزمان[1]

ولي الجبال عرايا غير كاسية ... والبحر والريح سمّار وندمان

إن فاتني من ذكيّ الورد نفحته ... فلي بذكرك ريحان وسوسان

وإنما حبب الأجبال أنكمٌ ... كنتم تحبونها والوصل فينان

هل أنس ليلتنا والغيث منسكبٌ ... وللبروق بقلب السحب أثخان

وقوله لي من لي أن تظلني ... من السحاب على الأطواد غيران[2]

ريح تهب لنا من كل ناحية ... وديمة كحلها نور ونيران

يلفنا الليلُ في طيات حندسه ... كما يغيب سرّ المرء كتمان[3]

نكاد نلمس بالأيدي السماء ونجـ ... ـتلي بها الرعد يطغى وهو غضبان

وللصدى حولنا حال مروّعة ... كأنما تسكن الغيران جنّان[4]

لكل صوت صدى من كل منعطف ... كما تجاوب عسّاسٌ وأعيان[5]

يطير كل صدى عن كل شاهقة ... كما تطير عن العقبان عقبان[6]

---

(١) أي منتقما من الزمان كأن الزمان أذاك .

(٢) الغيران الكهوف .

(٣) الحندس الظلمة .

(٤) الجنان الجن والشياطين .

(٥) العساس حراس الليل والأعيان جمع عين وهو الجاسوس والحارس .

(٦) العقبان الأولى الأماكن المرتفعة والثانية جمع عقاب وهو طير كاسر معروف .

تبدو لأعيننا البـــلدان كالحةً كالوجه غضّنه سنٌّ وحدثان

* * *

حاشا لمثلىَ أن ينسى وإن بعدت مسافة الذكر إن الذكر ديدان
هيهات ما تطفئُ الأيام حرَّ جوى وقد يسعّر نارَ الذكر هجران
كالنهر عمّق مجراه تحدّره والنار ألعجها ريح وعيدان
لنا بما قد مضى عن غيره شغلٌ كأنما عطّل الأفلاكَ خطبان
وصرتُ لا أنا من ضرّاءَ مبتئسٌ يوماً ولا أنا بالسرّاء فرحان
أعطيتك العهدَ أن أحيا لكم أبدا فهل ترى أنني للعهد خوّان
مالى سوى طيفِ أيامى التى غبرت خِدنٌ إذا شئتُ وافى وهو مِذعان
كأننى حين أدعوه وأنشره عيسى بن مريمَ يحيى معشراً حانوا (١)
هـــذا نديمى أناجيه ويترع لى كؤوس ذكرٍ لمن لى منه نسيان
كم ليلةٍ بات يحييها معى سهراً يا حبذا هو سمّيرُ ومِلسان
يطوف بى بين أطلالى ويطرفنى فيها بأيامنا والعيشُ زهـــــران

* * *

عاد الربيعُ فهل فى ظل بردته ألفى متيلا لقلبى وهو حرّان
واخضرت الأرض واستحيا الموات فهل يخضرّ لى بربيع الوصل موتان
حتى الطيور لَضمّ الله ألفتهـــا فهل لنا بعد طول النأى لُقيان (٢)
وهل أقول له والسنُّ ضاحكةٌ والعين باكيةٌ والقلب هيمان
يا مرحباً بربيعىْ جنّةٍ وهوى وحبذا من شهور الحول نيسان
قد كانت السحب تبكى عند فرقتنا فالآن تبسم للقيـــان قيعـــان

---

(١) حانوا أى ماتوا والنشر البعث .
(٢) اللقيان هو اللقاء .

وكان يؤنسنى ريحٌ مزعزفةٌ ... فالآن لى بالنسيم الغضّ قنعان[1]

أرمى بظنى وأخلق أن يطيش وفى ... عينى ضبابٌ وفى الآفاق إدجان

طامنْ رجاءَك لا الآمال نافعة ... يوماً ولا لربيع الحب غشيان

وقل لمسودّ يأسٍ كنت تألفه ... عمرَ الزمان لنحن العمرَ إخوان

إنّا عشيرا مصافاةٍ مصفّقة ... قد وشّجتْ بيننا قربى وألبان

لو أنّ ما بيننا رثّت مراثره ... لكان خيرا وبعضُ الغوث خذلان

لكننى سأردّ النفسَ مكرهةً ... على الذى تتّقى والله معوان

يا يأس فاجعل بساط الروض مرقدنا ... والسروَ كلّتنا فالسروُ ميحزان[2]

واجعل ذراعىَّ إمّا نمتَ أوسدة ... واعذرْ إذا لام فقرَ الحرِّ ضيفان

(إلاّ يكنْ وجدُ حرٍّ ملءَ همته ... فقد يمد وعاءٌ وهو نصفان)[3]

يا من به اصفرَّ لون العيش وانفصمت ... عرى الرجاء ودكت منه أحصان

ومن توسط مجلى الأفق فاحتجبت ... به البدور وضلت ثمّ شهبان

ومن أساله والنفسُ عالمـــة ... بأنه حربهـا إن طاش حسبان

ومن بكرهى جعلت القلبَ مسكنه ... كما توارى نصالَ البيض غمدان

انى لأهوى على ذا أن تلابسنى ... عسى تبرّد قلبى وهو هيمان

عسى إذا ما تلابسنـا تغيبنى ... بعض الظلال لها فى البعض إجنان[4]

عسى ترنّق فى قلبى فتقصده ... فطالما نام جفنى وهو سهران

انى اجتويت مَذاق العيشَ وانتفخت ... مساحرى منه انّ العيش ذيفان

---

(١) قنعان أى قناعة ورضى .

(٢) السرو ضرب من الشجر والكلة ما يجعل فوق السرير .

(٣) البيت لابن الرومى .

(٤) أى بعض الظلال تغيب فى البعض .

وحنّ قلبي إلى نومٍ تخادعني ... أضغاثُ أحلامه والليل نعسان

حتى إخال بأني في بلهنيةٍ ... وأنّ عينيَ لم يدمع لها شان

وأنني لستُ من لِيعت جوانحُه ... وبات فيها من الأشجان جولان[1]

حتى إذا دبّ بعد النوم صاحبُه ... فالجفن من سكرات الموت سكران

وشارف الحينُ واستروحتُ نشقته ... والعينُ شاخصة والوجه بردان

وكلّ ذهنيَ حتى ما يحركه ... شيءٌ وأعيا لساني وهو سحبان

والتفّ جولي خلاّني وآصرتي ... وكلهم شرقٌ بالدمع غصّان[2]

مصغين حتى كأن الموت يخطبهم ... فالكلُّ حوليَ آذان وأعيان[3]

طوراً وطورا يهي بالخطب صبرُهم ... فيعولون كأنّ القوم غيلان

وأضمرتنيَ أرضٌ لست آعذرها ... إنْ عاودتنيَ تحت الترب أديان[4]

وغيّبوني بملحودٍ ينادمني ... به من السحب هطّال وهتّان

نضوت عني هموماً كنت ألبسها ... مع الحياة فلي بالموت سلوان[5]

واستروح القلبُ من شوق يلدّده ... ومن دموعٍ لها في العين عينان[6]

في ظلمة القبر للثاوي به فرجٌ ... وفي التراب توافي الهمَّ أحيان[7]

من لم تسع نفسه الدنيا بما رحبت ... فلن تضيق بها في القبر أعطان

دينٌ عليّ سأقضيه إلى زمن ... في دينه ليَ تسويفٌ وليّان

يا ليت شعري اذا بُوِّئْتُ في جدثي ... هل يرهق القلبَ ضراً منه عدوان

---

(١) الجولان الجائل .
(٢) الأصرة الأقارب .
(٣) أعيان جمع عين .
(٤) أديان أي أدواء وأشجان .
(٥) نضوت أي خلعت وألقيت .
(٦) عينان أي سح .
(٧) أحيان جمع حين وهو الموت أي إذا مات المرء ماتت همومه .

لسوف أسخر منه وهو يطلبنى ودون ذلك صفّاحٌ وكثبان

•

ما كان ذلك ظنى بالحيـــاة ولا قدّرت أن تجلبَ الآفاتِ أذهان
ولا تخيّلتُ أن الناس كلهم فى السر والجهر غيلان وذؤبان
ولا توهّمت أن الكون وَاحرَ بى حلمٌ يراه من الأرباب سكران[1]
وأننى موجةٌ فى زاخرٍ لجبٍ من الورى ماله كالبحر شطآن
بحرٌ كما شاءت الأقدارُ مصطخبٌ أصمُّ ليس له باللـــين إيذان
ما كنت آمل أن أحيا بمنتزح عن الهموم وهل عنهنّ حيّدان
أعددت للدهر درعاً كنت أحسبها متينةً فاذا بالدّرع كتّـــان
وكنت أنظر فى قلبى وأحسب فى بطنانه لقلوب النـــاس ظهران
فشدّ ما موّهبّ نفسى وجوههمُ حتى تشـــابه عقيان وصيدان[2]
وأنما النفس مرآة إذا كرمت فكل ما تبصر العينـــان حسّان

•

بين الرجاء وبين اليأس يا أسفى عليك يا قلبُ أنت الدهرَ حيران
لا بل علىّ وصدرى مَوْكِنٌ خرع كبرت ياطيرُ عنه فهو تعبان[3]
إنى وإن أطلقت نفسى معتّقةً حيناً وسرّى من الأشجان إخوان
ففى فؤادى ظلامٌ لا يزحزحه فجرٌ يزوّره كـــأسٌ وخـــلان
هيهات يؤنسنى قومٌ نكرتهمُ لا هم عداةٌ ولا صحبٌ وخلصان

---

(١) هذا المعنى لهينى الشاعر الألمانى .
(٢) الصيدان النحاس .
(٣) الموكن الوكر والخرع الضعيف .

تضمّنا صدفٌ قد كنت أحمدها ... لو فرقتنا وبعضُ المنع إحسان

مخاوفُ القلب شتّى غير واحدةٍ ... كأنما مالهـا إلاّهُ إيوان

حتّى السحاب وحتّى الريح تفزعنى ... والنبت أن مرحت منه أغيصان

قسا علىّ رفيق القلب ليّنُه ... فكل شيء تراه العين صوّان

رفقاً بنا إننـا طيف سيخلجنا ... عنكم وإن طالت الأيام موتان (١)

ما طال عمرى ولكن طال ما حملت ... نفسى فسنى وإن لم تعلُ أسنان

كأننى عشتُ أدهاراً وأزمنة ... ولم أعش غير أيام لها شان

وأكبر الظنّ أنّ الحين يعجلنى ... فإنّ مرّ الرياح الهوج عجلان

طول البقاء لكم إنّا على سفر ... يريغنا آكلٌ للنـاس مبطان

أصاب حبّك منا شبعه أبدا ... وسوف تأكل ما أبقاه ديدان

أعززْ علينا بأن يشجيك مصرعنا ... وأن تروح بجفن وهو عبران

قد كنت أشفق حيّاً إن يصيبكم ... سوءٌ وأحذر أن يهمى لكم شان

---

(١) الموتان الموت .

العِتاب

خليليَّ ما يغني العتابُ إذا انطوى ... على البغض قلب كالزمان حؤول
إذا لم يكن صدق الوداد بنافعي ... فكل مقالات العتاب فضول

الملل من الحياة

أكلما عشتُ يوماً أحستُ أنيَ متُّه
وكلما خلت أني وجدت خلصاً فقدته
لا أعرف الأمن عمري كأنني قد رُزئته
ما تأخذ العينُ إلا ما ملني ومللته
كأن عيني مدلولةٌ على ما كرهته
تضيئني الشمس لكن لاجتلي ما أجمته
ثوب الحياة بغيضٌ يا ليتني ما لبسته

الخاتمة

إلى صديق

دعنى خليلى إذا استوفيتُ أيامى ... وقرّ ثائرُ أشجانى وآلامى

وصرتُ لا الصيفُ يؤذينى بوقدته ... ولا الشتاءُ بتوكافٍ وإرزام

ولا يحركنى بغضٌ ولا مِقةٌ ... ولا تريق همومى دمعَ أقلامى

ولا يسهدنى ضيمٌ يراد بنا ... ولا أبالى بأرزاقٍ وأقسام

أحيا بقلبك إن ضاق الزمانُ بنا ... وطأطأ الموتُ من إشراف أحلامى

وإن تقدّمنى فى الشعر قالتُه ... وفاتنى كلُّ عنّان وأمّام [1]

فاحفظ قصيدهم من أجل جودته ... واحفظ قصيدى لحبى لا لأحكامى

---

(١) العنان الذى يسبق غيره .